مقياس الرقي

من الخطأ ان نقيس رقي المجتمع بمقياس رخائه المادي ، فكما انه ليس من الضروري ان يكون الشخص الموفور الحال راقيا مثقفا ، كذلك ليس من الضروري ان يكون المجتمع ذو الرخاء المادي مجتمعا راقيا مثقفا .

واذا نحن نحينا المال جانبا ، وجدنا صعوبة في العثور على مقياس آخر لرقي المجتمع وترجع الصعوبة في ذلك الى العلاقة القوية القائمة بين المال من جهة وبين الرقي والحضارة من جهة اخرى ، فالمال يجلب القدرة على الرقي ويجلب مستلزمات الحضارة ولكنه في أغلب الاحيان لا يوفر الا المظهر الخارجي للحضارة فيكسب المجتمع مظهرا لا يعكس حقيقته .

لعل افضل مقياس لرقي المجتمع هو نقصان عامل الخوف بين افراده. فاذا نظرنا الى اقل المجتمعات رقيا وجدنا الفرد يخاف من كل شيء . فهو يخاف من البرق والرعد وجميع مظاهر الطبيعة ويخاف من عين الحسود ومن الناس ان يعتدوا عليه ويخاف من المرض ومن المستقبل ومن الف امر وامر . واليوم نجد الفرد في المجتمعات «الراقية» لا يزال يخاف من امور كثيرة أيضا ـ وان كانت هذه اقل بكثير من مخاوف الفرد في المجتمع المتأخر ـ فهذا يخاف من الشيخوخة والوحدة ويخاف من البطالة والمرض وفوق كل شيء يخاف من الشعوب الاخرى ان تعتدي عليه او تغالبه فتغلبه .

الخوف « قديم » عند الانسان فهو جزء من جهازه في الدفاع عن النفس ، وهو عند المرء على طبقات كثيرة ترتكز احداها على الاخرى لتكون هرما قاعدته هو الخوف الناتج عن الجهل بعد ذلك نجد طبقة الخوف الناتج عن الظلم الاجتماعي كأن يخاف المرء من نفوذ اصحاب النفوذ وتحكم اصحاب الحكم وسلطة أصحاب السلطان . وهناك طبقات كثيرة من الخوف بعضها اقتصادي وبعضها الاخر عاطفي . ولكن المجتمع الراقي يعرف للفرد امورا تزيل عددا كبيرا من مخاوفه ، امورا تزيد من شعوره بالامن وتحفظ له الطاقة الفكرية التي كان يحرقها ويبددها نتيجة لعوامل الخوف في نفسه فيحولها نحو امور بناءة تعمل للخير العام.

ما اسعد المجتمع وارقاه ، ذاك الذي قد زال من نفس افراده كل خوف ولم تبق الا مخافة من مخافته هي راس الحكمة ، عندئذ يكون هؤلاء حقا ممن « لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . »

لندن — فؤاد حداد

علي الجندي شاعر الجمال

بقلم فاضل السباعي

قالوا :شيخ ابن ستين يصبو ، وقد جلله المشيب بهالة بيضاء وخلع عليه مطارف من وقار !

واقول : اونسيتم، يا قوم ، انه شاعر ، مرهف الحس ، منفتح النفس،غزل ، يصبيه الوجه الصبوح ، وتسكره الكلمات الحلوة تنساب عرائس من بين شفتي عروس ؟!

لطالما سمعت بالشاعر العميد علي الجندي .

ولعل من اطرف ماقرأت له مقالته « خال على ثغر » منذ اكثر من عشرة اعوام ، حيث يستشهد فيها ببعض ما يعرف من شعر المتشببين والغزلين في وصف الخال المتزلف الى الشفتين .. ثم يورد ابياتا من شعره في هذا الخال ، كان اثبتها في نفسي :

عجبت لخال مال عن صحن خدها	الى ثغرها ! والخال اولى به الخد
فقلت له: ما كان احسن ان ترى	بوجنتها مسكا يحف بك الورد !
فقال : هجرت الخد لا عن كراهة	ولكن لان الثغر يجري به الشهد(1)

ورايته في مهرجان الشعر بدمشق اوائل صيف ١٩٥٩

نهدت الى دمشق فوصلتها في ساعة من الاصيل ، ابتغي على شوق لقاء الشعراء والادباء العرب ، واتعرف اليهم ، واحدثهم عن كثب، هربا مما كنت فيه آنذاك من ضيق يملأ علي قلبي ويأخذ انفاسي اخذ قوى ظالم متجبر . وكانت صالة المهرجان ، في تلك الليلة الختامية ، قد غصت بالرواد ما بين رجال ونساء من شيوخ وشباب وفتيات ، ومعظمهم ممن لم يصب من الثقافة حظا ، وانما اغراهم بالحضور أن سمعوا بمطربين ومطربات يعتلون المسرح كل ليلة مغنين ، والدخول بالمجان ، لا اجر ولا بطاقة ، تشجيعا من القائمين على الحفل للجمهور ، اي جمهور .. فكان ان امتلأ المكان بهذا النوع من الرادة ، فزحموا علينا المقاعد، وامتنع علي ان اجد مجلسا ارتاح اليه ، سوى الوقوف في المؤخرة ، انصت ، ولا ينصت من حولي من الناس متلهين بالحديث حينا ، وبقضم التسالي احيانا كثيرة .. فانطلقت من الزحمة الى حديقة المسرح الصغيرة الجميلة ، الوذ بفضارتها من ضجيج الحفلة ومن وعثاء السفر معا .

وفي الحديقة.. وعلى حافة البركة الرخامية المترعة بالماء ، وفي مواجهة الازاهير الحمراء النضيرة ، وتحت لألاء الكهرباء الصادحة، كان يجلس شيخ وقور يبدو عليه الونى والضيق ، عرفت فيه صاحب الخال على الثغر ..

فدنوت اليه على شوق واستحياء ممسيا بالخير ، فرحب بي ، ورحنا نتجاذب الحديث في شأن المهرجان وفي شؤون الادب والادباء .. واذكرته باشعاره في الخال على الثغر، فهزته نشوة الاديب لدى علمه بما يحفظ عنه من قول وبما يخلف في نفوس قرائه من انطباعات ، على بعد الدار وبعد السنين ..ورايته متضايقا من الزحام ، ومن الصفير، ومن التصفيق في غير محله! فقلت له مداريا كالمعتذر :ليس هذا بالجمهور المثقف ، ولكنه جمهور غير شعري ! فضحك للتعبير وسرى عنه .

على ان الذي وعيته من امر الشاعر انفتاح نفسه على الجمال ، بمختلف اشكاله وصوره ، وولعه به ، وتقصيه اثره في كل شيء، وتلك روح الشعر في حقيقة جوهره .. فالازاهير تحت لألاء الكهرباء ، فيها جمال تستوعيه عيناه وتغرفان منه غرفا ..وكذلك الماء النمير المنبثق من قلب البركة ، وهو يهبط كالقناديل من البلور او من الفضة .. ووجوه الحسان المارات بنا في رواح ومجيء ، محتفيات بمهرجان الشعر ، وبانفسهن في مهرجانهن ، اليست المرأة سر الهام الشعراء ؟!

ومرت عن كثب احدى الاديبات السوريات ، وقد انضم الى جلستنا الشاعرية الوادعة نفر من الادباء الشيوخ المصريين ، فرايت الوجوه السمر المتغضنة تتلفت الى حيث موكب الحسن يسير بالاديبة الشابة ، وتلفت ...

وسمعت الشاعر يقول : قنبلة هيدروجينية

فنظرت اليه مستفهما ، فقد كان الكلام مغلقا علي ، حين كان واضحا مفهوما لدى الباقين فامنوا عليه !!

قال : ان الجمال والذكاء اذا اجتمعا في امرأة يا بني ، فهما قنبلة هيدروجينية !

فامنت على كلامه .. ثم رايت موكب الحسن ينظر الينا ، ويومىء الي ـ انا ـ بالتحية ! ظننتها اول الامر لهم ، للشيوخ الشعراء،ولكنها ـ ويا لعجبي ! ـ كانت لي انا بالتاكيد فهرعت، لاعود مصحوبا بموكب الحسن كله .. فطرب الجمع ونمت عيونهم عن الشكر لي ، ثم كان بينهم وبينها حديث شعراء ...

وانظر ، فاذا انا ـ الذي اتيتهم بالحسن ـ نسيا منهم منسيا !!

الشعراء يتبعون الجمال حيثما ثقفوه، ومهما امتد بهم العمر وجلل الوقار هاماتهم ... فقلوب الشعراء لا تشيب وأن شابت الرؤوس ، بل تظل شابة دفاقة بالحياة ، والا فبماذا يفضل الشاعر على الاخرين...

ان في اوجه الحسان لمعنى	ادركته ، دون الورى ، الشعراء

الحق ، لقد اعجبتني روح الجندي الشاعر الحية المتوثبة ، وامنت بالفن يثرى النفس بزبد من المشاعر الشابة وبفيض من الاحاسيس المنطلقة بحثاء وراء الجمال،

---

(1) مجلة «الكتاب» المحتجبة ، اغسطس ١٩٤٦ الصفحة ٥٧٨

تتصيده ، او يتصيدها ،فتكون تجربة مثرية تولد الاعمال الفنية البديعة .

وشاعر الجمال – على الجندي – خرج من مهرجان الشعر بدمشق بتجربة فنية غنية ابدعها عملا ادبيا طريفا ، نشره على الملأ في كتاب سماه « خمسة ايام في دمشق الفيحاء... » فأثار الكتاب سخطا ، وحظي بالرضى وانما كذلك تكون اصداء الاعمال الفنية الطريفة ما بين السخط والرضى ، فما مبلغ الصدق والصحة في هذين الصديين ؟!

ان شئنا تصنيف الكتاب ، وضعناه في ادب الرحلات .. وان كان السفرالى الاقليم السوري ليس بالرحلة في معناها الدقيق ، بل هو «الزيارة» الى الاهل الاقربين فهذا الاقليم عربي مجاور، بل هو جزء من اجزاء الجمهورية الوليدة ... وانماالترحال الى البلاد الغريبة القصية

وللشاعر ملاحظة ثاقبة ، وذاكرة واعية ، فضلا عن حسه المتوفر الرهيف

وهذا اول سفر له الى خارج الاقليم المصري ، « فلم تجاوز رحلتي شمالامدينة الاسكندرية وجنوبا قنا وشرقا المنصورة وغربا صقارة» . . وهذا ما ضاعف من رهافة حسه وفتح عينيه على المرئيات تمر به فتخلف في نفسه اشتاتا من الانطباعات الواعية، المقرونة بالنقد او الاعجاب او المفاضلة والممايزة .وهو يذكرنا بما كتب عن دمشق ، بالكاتب الفرنسي الشهير فلوبير في زيارته لدمشق منذ اكثر من قرن من الزمان ووضع في هذا كتابا عن رحلته الى بعض بلدان الشرق .

والشاعر يسرد في الكتاب ملاحظاته ، ويصف مشاهداته ويدون هاجسات نفسه دون ان يدع واحدة تند عن قلمه ولم تعوزه الصراحة ، فهو الشاعر الفنان الذي يهوى الصدق في التعبير عن الاحاسيس . ولم تعوزه البلاغة ، ودقة التعبير ، وروعة التصوير ، والقلم بين انامله عبد مطواع لا يعصى

انه ليعترف لك بخوفه من ركوبه الطائرة (٢) ، ويقرر قبل هذا بقوله :« وانا بحكم طبيعتي ونشأتي اكره الاسفار واشفق منها – برغم فوائدها الخمس –لاني ضيق الحيلة قليل الخبرة بشؤون الحياة ، غير متمرس بالمتاعب والمشقات ، مؤثر للعزلة وعدم الاختلاط ، يضنيني الجهد البدني وان قل ...»

ثم يبدي تردده من ركوب الطائرة ، هذا الشيء غير العاقل ، ولكنه لن يحجم فنوازع الشوق تستحثه لزيارة الاقليم السوري ، فيمضي العزم على السفر محتاطا لما قد يحدث – لا سمح الله – فيكتب وصية جامعة لاهله ، ويفضي لارشد الاسرة باسراره الخاصة مثلما يفعل الانسان حال الاحتضار !

وفي استراحة المطار ، « وبينما نحن نتجاذب اطراف الاحاديث ... اذ دق ناقوس الرحيل مؤذنا بركوب الطيارة فانتفض قلبي انتفاضة خيل لي معها انه فارق مكانه

وخطوت اليها امشي على هون ناكس البصر ! فارتقيت السلم ، وكانني امشي على الصراط المستقيم حتى احتواني جوفها ، فحرج صدري وربت انفاسي ، واحسست بما يحس به من ادخلوه حيا في غيابة مقبرة الا انها واسعة انيقة ، وماذا يجدى الاتساع والانق على من يشعر بعزرائيل يحوم عليه!! وزين لي ان انسل في سر من الناس هاربا . . »

وهو، الذي تتعاوره المخاوف ولا يفتأ يرى الموت شبحا يوشك ان يقبض انفاسه، يتطلع الى المضيفة الحسناء تروح وتغدو في قلب الطائرة غير هيابة يشيع جمالها حولها فتنة واضطرابا ، فاذا عصابة الشعراء يناوشونها من كل جانب وهم الذين يستهويهم الجمال ويسبرون من اغوار مفاتنه ما لا يسبر الاخرون ... بل انه يختلس بعض النظرات اليها كلما استشعر بشيء من الطمأنينة يلامس قلبه وهو على جناح الريح ، ولكنه يقسم على ان كل نظرة ينظرها الى الغادة الجميلة كانت تحمل الى قلبه شحنة ضخمة من الخشوع والاطمئنان ..« ان بعض وجوه الغيد ايات بينات وشواهد ماثلات على قدرة رب الارباب وباهر صنعه! والنظر الى الحسن عبادة. وقديما قالوا : الجمال الصريح ما استنطق الافواه بالتسبيح ؟! »

كان الشاعر يرسم لدمشق في نفسه صورة متواضعة الاظلال ، لا تزيد على «اسيوط» او «طنطا» الا من حيث الاتساع وكثرة السكان . وهذا الظن هو الفاشي بين اشقائنا في الاقليم المصري عن مدن اقليمنا السوري وما هي فيه من تقدم وازدهار ورقي ...والمسؤول عن ذلك – في رايي– ضعف الصحافة السورية التي لا تكاد تصل الى قراء مصر ، واهمال الصحافة المصرية في الماضي التي لا تتحدث عن البلدان العربية بما يرسم للقارىء فكرة متكاملة عن الاحوال في هذه البلدان .

ولما شاهد الشاعر دمشق بهره جمالها ، ونظامها ، ونظافتها ، وخضرتها ، وكياسة اهلها ، ووعيهم الادبي ، وجمال نسائها ولطفهن ... ولعل هذا الانبهار الزائد مرده صغر الصورة المتخيلة وتواضعها الى جوار الحقيقة غير المنتظرة ، فاشرق الاعجاب في نفس الشاعر كبيرا هائلا رائع الالوان .

فاما الدماشقة ؟ فالشباب فيهم ، رقيق مهذب مؤدب وبناتهم رزينات محتشمات مع اناقة بالغة وجمال صارخ ومن تنظيم مدينتهم ، انك لا تجد في شوارعها حافيا ، او عاريا بالاسمال او اشعث اغبر قذرا ... المقاهي نظيفة هادئة ، عمالها نظاف لا يثقلون عليك بطلب «البقشيش» ، وروادها قليلو العدد يجلسون في وقار لا تكاد تحس لهم صوتا .

---

(٢) عندما افصح الشاعر لصديقه الاستاذ عباس محمود العقاد عن خوفه من ركوب الطائرة لان الانسان «يركب شيئا غير عاقل » .. رد عليه العقاد مازحا: « ان الذي يخيف هو ركوب ما يعقل ، لاما لا يعقل»!

واما الجمهور ، فيتميز بالوعى الادبي ، وانك لتسمع بين جموعهم المتراصة فيالحفلة ــ صوت الابرة لو سقطت من الصمت وحسن الاصغاء اجلالا للادب واهله .

ويدلل على اهتمام السوريين عامة بالشعر والشعراء ، ان عددا من شعرائهم قد وصلوا الى مناصب الوزارة (٣) ... اما الشاعر ، في مصر قبل الثورة ، فما كانت منزلته؟

كان شوقي ، الملقب بامير الشعراء ، يشغل وظيفة رئيس القلم الفرنجي فيديوان الخديو عباس ، واهون بها وظيفة بالنسبة لمركز شوقي العظيم !

وكان حافظ من شعراء البؤس ، ولولا رعاية الاستاذ الامام محمد عبده والوزير احمد حشمت لمات من الجوع، وكان يشغل وظيفة بدارالكتب ليست بذات بال !! ومع ذلك فقد اقيل منهاقبل موته ولم يشفع له فضله وادبه !!

وكان مطران يشغل وظيفة لا تمت الى الادب بصلة ،وهي سكرتير الجمعية الزراعية (٤) ...

وتطيب لشاعر الجمال الاقامة في غرفته العالية فيالفندق المطلة على ميدان فسيح مؤنس وعلى جزء كبير من دمشق المزنرة بالخضرة الباسمة .

فاذا كان الليل تراءى أمامي «حي المهاجرين» الارستقراطي الانيق في حضن «قاسيون» كانه سطور متوازية من الدراري المتألقة، نسقت في نظام اخاذ بديع الى مسافات طويلة .

وقد كنت اجلس امام النافذة برهة طويلة قبل النوم ، وعند انفجار الفجر حين تتعالى اصوات المؤذنين الشاجية المؤثرة ، في افاق هذه المدينة المتدينة الصالحة ، اسرح بصري وبصيرتي في رحاب هذا الجمال الشعري الفاتن !!

وعندما ازف الرحيل «اطللت من النافذة ، ألقي على المدينة نظرة واسعة حائرة زائغة ، كانما اريد أن استجمع مناظرها كلها فيصورة واحدة اطبق عليها جفني ، لاتزود منها في الايام الاتية !

ورميت حي المهاجرين النائم في صدر «قاسيون» بنظرة دامعة ! لقد كان هذا الحي الجميل الوضاء انسا لي في الليل ! وكم سهرت ازاءه ساعات طويلة اناجيه ، وابثه كثيرا من بنات الصدور ! » (٥)

ارايتم الى هذه الوشيجة من العاطفة الانسانية تنعقد ما بين انسان ومدينة ،والى صدق التعبير عنها ؟ القلم مطواع معبر ،والعاطفة متقدة ترفدها عاطفة اخرى وطنية:

عربي من مصر يتعلق ببلدة سورية عربية ويشغف بها حبا.. اليس هذا من الادلةعلى وحدة الامة والوطن ، هذه الوحدة التي تدفع احدنا الى ان يتعشق الارض في أي بلد عربي والسماء،ـوالحي المطمئنفي حضن الجبل ، والناس الهاجعين في بيوته ، والقادين في دروبه ، والناعمين في مغانيه ؟

وفي المهرجان ، يقف الشاعر يلقي قصيدته « الى شباب العروبة» ، التيمطلعها :

انتم لها امل فليثمر الامل هيا اعملوا للعلا ان العلا عمل

وهي«في جملتها تدور في نطاق العروبة، وتمثل آمالها وامالها ، وتضرب على اوتارها الحساسة ، وتخاطب وجدانات الشباب ، وتدعوهم الىالعمل الصالح المثمر لرفعة قومهم ، واعادة مجد ابائهم ..

وحين أنتهيت منها استقبلت بعاصفة من التصفيق الموقع توقيعا خاصا ، استمرت مدة طويلة ، وانا واقف ارد على التحايا براسي ويدي ، والارضتميد بي من فرط ما اخجلني هذا التكريم البالغ .. »

واكب سائق «التكسي» علىيده ، وهو خارج من الحفلة يريد ان يقبلها ، وهو يدعوله في حرارة : « الله يطول عمرك .. الله يعمر بيتك .»

ثم يقول الشاعرمتأملا : ما اكرم منزلة الشاعر في هذه المدينة الشاعرة ! وما اسعده بالعيش فيها !

والشاعر حيي خجول ، ينطوي ــوهو ابن الستين ــ على قلب طفل صاف بريء كريم يتبين لك ذلك من الصفحات التي تقرؤها في كتابه ، وهي بوح واعتراف وكشف عن خبايا القلب والنفس والفن جميعا .. وليس ادل على خجله من انهذا الخجل هو الذي يمنعه من الخطابة التي يحسنها رغممحاولته علاجه عبثا !

ولعل اطرف مكاشفاته تلك التي يصف فيها حاله حينما يشرع في نظم القصيد ، فيسبب لكلمن في البيت العناء والبلاء ، «فلا يرتب الاثاث ، ولا تنفضالنوافذ ، ولايفتح المذياع ،ولايناديعلى بائع ، ولا يتكلم انسان ، ولا يبكي طفل ، ولا يموء قط .. والا هاج شيطان الشعر وماج ، وغضب غضبة صعيديةيغضب لهمعها الف « نبوت » صعيدي لا يسألونه لم غضب ؟ لذلك كانت ربة البيت لا تكره شيئا كما تكره الشعر والشعراء ، وتتمنى لو

(٣) لعل ابرز مثال على ذلك الشاعر المبدع عمر ابو ريشه ــ من موطني حلب ــ الذي اعتلى ، منذ نيف وعشر سنوات ، منصب الوزارة ثم السفارة في السلك الديبلوماسي السوري ، ومثل بلاده خير تمثيل في بعض دول امريكا الجنوبية واسيا ، وهو اليوم سفير الجمهورية العربية المتحدة في الهند ... ولكن ، من المؤسف ان هذا العندليب صمت عن الصداح منذ اسفر ، فلا نكاد نسمع له شعرا !

(٤) يا للعار !

(٥) ان الاديب الحق هو الذي يعبر عن احاسيسه ، فاذا هي ــ لصدقها ــ احاسيس الناس جميعا عندما تلم بهم الظروف ذاتها . مثل تلك الحال تملكتني ، في يوم مضى قبل اعوام ستة ، وانا اهمبالرحيل عن القاهرة الحبيبة في اعقاب سنوات اربع قضيتها فيها على اسعد حال ... اطللت من النافذة ، اودع الناس ، والحي ، والعمائر ، والطير على الشجر المتكاثف الخضرة والازهار ، واحساس اليم يتخالجني باني لن اعود اليها قريبا ... ولم يكتب لي بعد ان اعود !

برئت انا من هذا الداء الوبيل ، وهيهات!..» ويا لجمال الصدق اما جرى على لسان شاعر !

ولقد ادركت ؛ من سماته الشخصية الاخرى ، انسانيته السمحة التي يحب معها الناس جميعا ولا يكره انسانا ، حتى أؤلئك الشباب «المتطرفين» الذين حملوا لواء الانتقاد والتجريح ضد المهرجان وشعرائه الشيوخ(٦) حتى لقد رجوا لهم ان يذهبوا الى الجحيم احياء ليفسحوا الطريق لغيرهم من شعراء الشباب... فماذا قال لهم الجندي في كتابه ؟ « مهلا ورفقا ايها الاخوان النقاد ، ودعونا نموت هادئين وادعين» !

وهو ، بعد انسانيته الرحبة ، مسلم تقي ورع يقوم بفرائض الدين خير قيام ، ولا يفوت على نفسه صلاة . فاذا قضت عليه الظروف يوما الا يؤدي صلاة العشاء فانه لا يستطيع الغمض ، وتتراءى له الصور المخيفة تهاجمه من كل ناحية ، فيستيقظ متفصد الجبين عرقا في الليلة القرة ، ولا يؤاته نوم بعدئذ الا اذا توضأ وصلى العشاء .

ثم هو عربي اصيل ، معتز بنسبه الذي يتصل بالامير سليمان بن الامير داود بن العاضد الفاطمي اخر الخلفاء الفاطميين في مصر ، بناة القاهرة المعزية ... وهو ، في طفولته الباكرة ، يسمع جدته العربية المعتزة بنسبها تقول : « القاهرة بتاعتنا» .. اليس هذا شاهدا على العروبة الاصيلة تجري في دمائنا فتحملنا على الفخر بالنسب مهما قيل في هذا الافتخار ، ووصم في هذا القرن العشرين ؟! العروبة والاعتزاز بالنسب متداخلان ، وسيظل هذا التداخل حتى القرن الثلاثين ، او ... ما ظل العربي يتنسم الحياة على وجه البسيطة

تلك هي الخلال التي تتكشف للقارىء وهو يطالع صفحات الكتاب ، تسبقها جميعا السمة الاولى : روح الفنان ، روح الشاعر يستهويه الجمال.. ولقد عشق هذا الشاعر — عشقا شعريا — وجها جميلا وقاه صاحبه من موت محقق . كذلك تراءى له . ولهذا العشق الشعري حكاية شيقة فيها المزيد من رقة الحس والتهاويل الجميلة والتجنيح الشعري البعيد ، كل ذلك يتجلى في : « المعطف الاحمر » !

خرج الشاعر وزمرة الشعراء من دمشق في زيارة الخطوط الامامية على حدود الارض السليبة ، في يوم من ايام ايار (مايو) بدا صيفيا اول أمره .. كان الجو عند بدء الرحلة مصحيا سوى قزع من السحاب متناثر هنا وهناك ، والسماء تبدو كغبة من الفيروزج المصقول ، والغزالة تنثر اشعتها التبرية حولنا في اسراف وتبذير ، فلم يخطر ببالنا ان هذا النهار المشمس ، سيصبح بعد ساعة احم الحواشي ، حالك القسمات ..

ووصلوا الى الحدود، بعد ان ترجلوا مسافة لا تسير فيها سيارة . وتشاء العناية الربانية — كما يقول الشاعر — ان يكون مصادفة الى جوار ملك كريم ، هو .. احدى الشاعرات السوريات

وفي طريق عودتهم مترجلين ، كانوا يفكرون في كل شيء الا ان تبكي السماء فوقهم باربعة سجام .

«بدات السحب المتفرقة تتجمع بسرعة، وتتراكم وتتكاثف حتى سدت الافق ، فانتشر الظلام ، واحتجبت عنا «الغزالة» المؤنسة بدفئها وضوئها ، فاحسسنا لذع البرد ، وسرت في اجسامنا قشعريرة نافضة .. »

وزفت الريح ، ثم «بدات بعد زفيفها تعصف، واغشت عيوننا على البعد عفائق البرق ، كانها سيوف مسلولة ، وانصبت في اذاننا قهقهات الرعد الخشنة الفليظة كانها تسخر منا ..

وما هي الا دقائق معدودة حتى رايت كسفا من السحاب الاسود فوق سمت رؤوسنا ثم احسست قطرات تصيب وجهي (٧) .

وايقنت بالهلكة !! وخطر لي والله ان افترش الارض ، واترك زمام اموري للمقادير ، وماذا افعل ؟ لا املك ما اتقي به المطر ، ولا استطيع الجري ، وهو على كل حال غير مجد ، تحت هذه الشابيب التي تخدد وجه الارض بشدة وقعها . »

وادركت الشاعرة ، الملك الكريم المجاور ، « بفطرتها السليمة وذكائها اللماح ما اعانيه من الافكار السود ، وما يكرثني من الفزع واليأس والحيرة . وكان معطفها الاحمر النفيس مطويا في يدها ، وسرعان ما نشرته فوقها ومدت لي — مد الله في عمرها — بطرف منه ، ولم اتردد في قبول هذا الكرم الذي يعدل الحياة ، وشجعني وجودها بجواري على الجري معها ، فانطلقت اهرول بقدر الامكان ، متذرعا بالصبر ، مغالبا المشقة، متشبثا بالبقاء ، واخواننا من امامنا ومن خلفنا ، وعن ايماننا وعن شمائلنا على حال يسال من مثلها العافية ، حتى وصلنا الى موقف السيارة، وانا على اخر رمق ..»

سؤال :من الذي انقذ شاعرنا ، شاعر الجمال ، من موت محقق اطال الله اجله؟

« المعطف الاحمر » معطف الشاعرة الشابة .. خيم عليه ، فوقاه من المطر ، ودرأ عنه البرد والهواء ، وحضه على الجري بما عبق في طياته من شلال انفاس عاطرة ..

فهل ينسى الشاعر هذا المعطف والاحسان ، وهو الطيب النبيل القلب ؟

(٦) نشر احد الشباب مقالا ناريا في احدى المجلات الادبية هاجم فيه المهرجان ، وقال فيه بالاختصار : لقد فشل مهرجان الشعر .. لان القائمين عليه رجعيون !!!

(٧) حدث الشاعر انه مصاب بمرض من امراض الحساسية يوجب عليه الا يبالغ في الدفء شتاء ، وان يتقي العرق صيفا ،والا تعرض للنزلات الشعبية الحادة في الحال .

زفـــرة

صبرتُ طويلاً دون أن ينفعَ الصبرُ	وأمّلتُ انّ الليل يعقبهُ الفجرُ
ولكنّ حظي لم يزل بسواده	وعمريَ مهما طال لن يخلد العمر
اناجي سراباً لستُ اعرف كنههُ	وسرُّ حياتي انها الوهمُ والسرُّ
أبوحُ لمن همّي وهمّي همـــةٌ	تطوّحها الأحداثُ والمدُّ والجزر
اعيش ليوم ـ مثل غيري ـ مصيرُه	فناءٌ كأمسٍ عابرٍ لذهُ الدهر
يُلوّحُ لي بالمـــال عبدٌ لماله	ومالي إباءٌ، كم يطيب به الفخر
أسيرٌ انا، لا قيدَ يُوثِقُ معصمي	وما القيدُ إلا الأسرُ والفقرُ والجور

جـدة — **احمد عبد الجبار**

وكان مولد القصيدة :

قد حماني مـــن المطر	ووقاني مـــن الخطـــر
معطف احمـــر نضـــر	لمهاة من الحضـــر

حيث لونها الشاعر باحاسيسه الشاكرة المعترفة بالفضل واهداها « الى صاحبة المعطف الاحمر الذي انقذني مـــن الموت الاحمر » . وافرد في كتابه، فصولا مطولة للحديث عن الشاعرة المنقذة .

فهو عندما صافحها يوم التعارف قبل يوم المعطف ،عراه ذهول ، وترك يده في يدها برهة دون قصد ، واغمض عينيه يفكر في اطواء نفسه : «من تكون هذه الفتاة التي لا اشك في اني شاهدتها من قبل ؟» ، «انني اجزم بانني رأيت هذا الوجه الصبيح الضاحك جهرة وتمثلت معارفه وانســـت اليه ، وتحدثت الى صاحبته احاديث طويلة ، ولكن ايـــن ومتى ؟ » ..

وينشغل بها، ويحس انه مسوق بقوة خفية الى التفكير فيها ، وأصبح يحن لرؤيتها ، ويهش لمحضرها ، ويستوحش لغيابها .. بل يغار عليها احيانا غيرة « صعيدية » اذا رأى اصدقاءه الشعراء يتحدثون اليها !

ويقول : والله لا استحي ان اقول : اني أحبها اقصـــى ما يمكن من الحب. ولكن اي حب هو ؟ .

ويقسم الحب الى اقسام اربعة : حب غرام ، وحـــب اعجاب ، وحب شفقة ، وحب شكر ..

اما حب الغرام فقد انتهى لديه امره منذ احب اول مرة وهو فتى ..

وانما هو يحب الشاعرة حبا مزيجا من الاعجـــاب بالشاعرة الموهوبة ، ومن الاشفاق على هذه الريحانـــة النضرة ان يصيبها اذى ، حتى من ماء بردى العـــذب السلسبيل ، ومن نسيم الفوطة الرقيق الفاتر ، ومن الشكر لهذه الفتاة النبيلة التي انقذه معطفها الاحمر من المـــوت المحقق !

اليس من حق الشاعر ان يحس بهذه العواطف وليـــدة ذلك الدافع ، وينبري للمصارحة بها في صدق المحب الذي يؤمن بحبه ويرى فيه شرفا له وسموا وتصعيدا ؟

وبما كانت عواطفه لاتخلو من تهويل ، او من وهـــم .. ولكن ، احبب به من وهم جميل ، عاش تجربته شاعـــر في الستين ، واعطى عملا ادبيا جميلا هو « خمسة ايـــام في دمشق الفيحاء » . وشكرا لشاعر الجمال علي الجندي أن اتاح لقراء العربية ان يطالعوا نمطا جديدا من العواطـــف الانسانية الثرة قلما عبر عنها الشعراء وقلما شعروا بهـــا، فاذا هو يكتبها باسلوب هو الجزالة والرقة في منتهاهما .

حلب — **فاضل السباعي**

أغنية العودة

مهداة الى الفنان الفنزويلي
ايليا نخول

•

لفؤاد الخشن
من اسرة الجيل الملهم

●

فتى الريف عد للريف
حننت اليه
كثيرا
فقبل ترابا
درجت عليه
صغيرا
يتيه مع التائهين
فقيرا
يعيش مع الكادحين
مع الرعاة السمر
والحاصدين
على بيدر القمح ...
حيث السنابل
حيث الطرب
وحبات خير
يقشر عنها الذهب !

فتى الريف جئت اليك السفوح ،
شوقا ، و «وادي البئر» قد ضيعك
وقد كان في سفحه مضجعك
وبعدك جفت شفاه الزهر
ومات النهر ! ...
وغاب لنايك عنا الربيع
كأنك انت
أخذت الربيع معك !

تطلع فهذي « الشويفات »
هذي «الكروم»
وقرميد بيت يلم النجوم
و «صحراء» تغفو بزيتونها
الوف الذكر
لامس عبر
وقصة حب روتها
زهور الخزام
والف سمر
والف غرام !

نسيت القطاف بزيتونة
على الجدول
تضم غصونا كثيفه
وترمي ظلالا وريفه
لتحجب عن اعين العذل
جنون هوى اول

نسيت الغدير الذي غيضا
واصبح ملك المدينه
فسالت عليه دموع حزينه !
و «وادي ابي نمر» ذاك الظليل
نسيت ظلاله
وجدول صفو لنا فضفضا
يسيل نعاسا ..
ولحنا رتيب !
وكوخا من التوت قد شيدا
ورشت عليه الزهور ..
هنالك كانت تزف اليك
مع العصر « لادا »
ويمسي الرفاق
عبيدا لديك !

رجعت الى الريف دنيا الجمال
وارض الفتون
رجعت الى « مرتغون »
لتبني بيتا هناك
تعيش به على مشتهاك
وتشرف منه على الشاطىء
على رمله الناعم الدافىء ..

وتبصر كيف خيوط المطر
تقبل صفحة تلك البحيرة
من الخضرة القاتمة ...
تمس وريقات لين
تظل لزيتوننا
قميصا ربيعية دائمة !
وتغزل بين الروابي
وبين السماء
ارق وشاحا واحلى غلاله !

رجعت لريف بعيد يعوم
هنالك بين الغيوم
رجعت لقرنايل
لضيعة صمت معطر
تنام بحضن الصنوبر
بفيء مظلات مخمل
تغرد فيها الحساسين عند الصباح
بلحن يذوب التياح
يقول مع الهينمات
مع النور والتمتمات
حرام نموت بارض كهذي
احب تراب واحلى ملاذ !

فتى الريف هذي جنان الاله
فنقل خطاك
كفاك اغترابا عن الخلد هذا
كفاك !
وجدد اغاني امسك
جدد هواك !
سترقص هذي الحواكير حين تراك
تسير ... بعينيك شوق ،
وغيم افتتان
لارض تذوب اليها حنان ..
فانت لذا الريف قيثاره
ولحن هواه واشعاره
وانت يحبك اذاره
لان اغانيك من زهره
عبير .. سيبقى يرف
خلودا ...
بهدب الزمان !

القنـاع

تمثيلية قصيرة

بقلم الدكتور محمد حاج حسين

(صالون انيق في بيت هادىء. السيدة عائشة جالسة على مقعد وثير ، معتمدة راسها بين يديها . وهي عجوز اربت على الستين من عمرها . وقبالتها جلست ابنتها سامية في العشرين من عمرها ذات جمال خلاب تبدو كالزنبقة تستقبل الصبح الوليد . انها تصغي الى اغنية عذبة يهتف بها الراديو . وبحركة عصبية تقفل الام الراديو . يبدو الالم على وجه الشابة ، ويتجلى الاحتجاج في عينيها) .

عائشة : ما هذا اللغو ؟. حب .. وحبيب .. كان الدنيا لا يوجد فيها غير الحب

سامية : ولكن الاغنية جميلة يا اماه.

عائشة : واي جمال فيها ؟.. أنها مائعة .. تفسد الاخلاق ، وتحطم المرؤة .

سامية : انها اغنية الموسم

عائشة : لقد سمجت اذواق الناس حتى استساغوا مثل هذه التفاهة.

سامية : ولكن .. ماذا تأخذين عليها؟.

عائشة : انها غثة لا معنى لها .. الحب .. وهل في الدنيا شيء اسمه الحب ؟

سامية: كل الناس يعترفون بوجوده.

عائشة : وهم .. كذب .. انها الانانية هي التي يسمونها حبا .

سامية : وشهداء الحب في التاريخ ..

عائشة : (مقاطعة) : سخف وهراء..

سامية : الم تتزوجي بابا عن حب ؟.

عائشة : في ايامنا لم تكن هذه الميوعة التي تسمونها حبا . خطبني ابن خالي وتزوجنا وسعدنا .

سامية : الظروف تغيرت يا ماما ..

عائشة : ماذا تعنين ؟.

سامية : في عصرنا لا تتزوج فتاة الا ان يخفق قلبها للحب

عائشة : (حنقة) وهل انت منهن ؟.

سامية : ابدا يا ماما .

عائشة : افضل موتك على ان تكوني واحدة منهن . ويجب ان تتزوجي كما تزوجت شقيقاتك . هل انت احسن منهن ؟.

سامية : ابدا .. ولكن ..

عائشة : ولكن ماذا ؟.

سامية : لا شيء

(يسمع رنين جرس الباب . تدخل الخادم ، وتقول : السيد يوسف الطنبوري على الباب)

عائشة : (تنظر الى الساعة المعلقة على الحائط) : لقد جاء في ميعاده . يبدو انه تعلم الدقة من اميركا ... سامية ادخلي غرفتك، ولا تخرجي منها .

سامية (محمرة الوجه) امرك يا ماما.

(يدخل يوسف . انه في الخامسة والستين من عمره .. كلل الشيب شعره ، وقوست السنون ظهره).

يوسف : السلام عليك يا سيدتي .

عائشة (تلتفت اليه قليلا ثم تشيح بوجهها عنه) اهلا وسهلا .

يوسف (مادا يده لمصافحتها) الا تصافحينني ؟.

(عائشة تمد يدها باشمئزاز ..يطبع يوسف عليها قبلة ، فتسحبها بشدة ، وتشيح بوجهها) .

عائشة : (بغضب) لماذا قبلت يدي؟.

يوسف : (ضاحكا) انها الاصول .

عائشة : ما هذه الاصول التي تعنيها؟.

يوسف : احترام السيدة يستدعي تقبيل يدها .

عائشة : وهل تعلمت هذا في اميركا؟.

يوسف : تعلمت هنالك اشياء كثيرة .

عائشة : المهم انك اصبحت غنيا كبيرا .

يوسف : الحمد لله .

عائشة : ونسيت ايام فقرك .

يوسف : ابدا . لم انس .. وساظل اذكر تلك الايام .. وانا فخور لانني أستطعت ان ابني نفسي بيدي .

عائشة : بطل .

يوسف : لا تتهكمي ... الجميع يعترفون بانني بطل .. شيدت مصنعين كبيرين ، وبنايات ضخمة ، .. وتجارتي واسعة .

عائشة : ولماذا جئت تفخر علينا بهذا ؟.

يوسف : بالعكس . انني متواضع ، ولا زلت كما كنت ..

عائشة : ولماذا طلبت زيارتي ؟.

يوسف : وانا احب ان أعلم سبب رفضك اولا لهذه الزيارة .. ولولا وساطة بعض الاصدقاء لما وافقت عليها .

عائشة : لانني لا ارى لها معنى .

يوسف : ما دمت لم تعرفي سببها .. كيف تحكمين عليها ؟.

عائشة : وهل هنالك سبب غير مباهاتك لنا بثروتك العظيمة ؟

يوسف : هذا آخر شيء افكر فيه .

عائشة : اذن ماذا تريد ؟.

يوسف : لماذا هذه اللهجة الجافة ؟..

عائشة : في الحقيقة لا اجد معنى لهذه الزيارة .

يوسف : انسيت انني امت اليك بصلة القربى .. الا يحق لي بعد غيبة اربعين سنة عن الوطن ان اتفقد اقربائي ؟.

عائشة : ولكنني افهمتك لاول مرة انني غير راغبة في هذه الزيارة .

يوسف : ولكن بحق السماء ..لماذا؟.

عائشة : لانني لا ارى لها معنى .

يوسف : بالعكس تماما .

عائشة : والان .. ماذا تريد ؟.

يوسف : كانك ضقت بي ذرعا .. وترغبين في التخلص مني بسرعة.

عائشة : استنتاجك في محله .

يوسف : اما انا فلا ارغب في هذا .

عائشة : انت حر.. والان ماذا تريد؟.

يوسف : حلمك .

عائشة : ارجوك .. لا تضايقني .

يوسف : لن اضايقك .. اين سامية؟.

عائشة : وماذا تبغي منها ؟.

يوسف : اريد أن اراها .
عائشة : مستحيل .
يوسف : هل تمنعينني من رؤية كنتي ؟.
عائشة : ماذا تقول ؟.
يوسف : سامية خطيبة ابني جميل.
عائشة : (حانقة) وكيف تتجرا على هذا ؟.
يوسف : ولكن .. ما المانع ؟.
عائشة : يبدو انك اصبحت خرفا.. ان ابنك لن ينال قلامة ظفرها .
يوسف : ارجوك .. لا تسترسلي مع الغضب اللعين .. فكري قليلا .
عائشة : (تنهض) انتهت الزيارة .
يوسف : (ضاحكا) لن تنتهي قبل ان توافقي على هذه الخطوبة .
عائشة : انصرف بسرعة .
يوسف : انني اتقدم اليك .. لاحظى بشرف خطوبة كريمتك المصونة لولدنا جميل .
عائشة : وأنا ارفض ..
يوسف : ارجوك ان توافقي .
عائشة : قبض الريح اسهل عليك من هذه الخطوبة
يوسف : هل نقرأ الفاتحة الان ؟
عائشة : اوتريد ان أطردك من هذا البيت ؟.
يوسف : لن تفعلي .
عائشة : سامية مخطوبة ..
يوسف : لجميل ..
عائشة : لكل واحد غير جميل .
يوسف : ولكن ما ذنب جميل حتى تفجعيه بحبه ؟.
عائشة : ابنتي لا تعرف هذا الكلام الفارغ .
يوسف : الحب اسمى شيء في الوجود .
عائشة : سامية لا تزال صغيرة .
يوسف : ارجوك يا عائشة لا تحطمي قلبين محبين .
عائشة : انك تزعجني الى ابعد حد .
يوسف : ان جميلا مدله بحب سامية
عائشة : هو حر .. ولكن سامية لا تحبه .
يوسف : ان سامية تبادله هذه العاطفة النقية .
عائشة : انها لم تره حتى تحبه .
يوسف : اجتمعا ، وتفاهما بسرعة على الزواج .
عائشة : انت كذاب .
يوسف : اتهينني في بيتك ؟.
عائشة : اتوسل اليك ان تذهب .
يوسف : سلي سامية اذا كانت ترغب في الزواج بجميل .
عائشة : (مقاطعة) ارجوك ان تنصرف ..
يوسف : اجتمع بها في بيت احد الاصدقاء ، وسرعان ما تفاهمت روحاهما ، واتحد قلباهما برباط وثيق . ما اجمل تفتح الحب في قلبين ..
عائشة : لو صح هذا لكسرت رقبتها ..
يوسف : واتفقا على الزواج ..
عائشة : انك خرف ..
يوسف : وابني كفء لها ..
عائشة : قلت لك انه لن ينال قلامة ظفرها .
يوسف : والحب ؟.. هل تستطيعين ان تعترضي سبيله ؟.
عائشة : لا يوجد شيء اسمه الحب ..
يوسف : انسيت الحب يا عائشة ؟.
عائشة : انت اخر من يحق له ان يتكلم عن الحب .
يوسف : (يتنهد) معك حق .
عائشة : انتهت الزيارة .
يوسف : آه يا عائشة .. ما احلى الماضي .. انك الان تعودين بي الى العشرين من عمري .
عائشة : عندي موعد في بيت اختي..
يوسف : آه .. لو تعلمين يا عائشة كم تألمت عندما فارقتك .
عائشة : انت .. تعرف الالم ؟.
يوسف : اقسم لك بالله .. انني لم اسعد لحظة منذ فارقت بلدتنا لقد كدحت حتى نجحت ، ولكنني كنت تعيسا لان صورتك الجميلة كانت تتسلل الي في يقظتي ونومتي ..
عائشة : والبرهان .. على هذا ..انك هجرتني دون ان تودعني بكلمة .
يوسف : الحق معك .. ولكن ما حيلتي .. كان الامر اقوى مني ، وانسقت أليه دون وعي ، وخيل الي يومئذ انني بطل ، ويجب ان اضحي ، وضحيت ، وكانت النتيجة عذابا متصلا ..
عائشة : ما هذا الكلام الغامض ؟.
يوسف : يا عائشة .. اتذكرين غرامنا وهيامنا ؟. اتذكرين يوم كنا في مثل سن سامية وجميل ؟. كنا نتساقى كؤوس الحب دهاقا ، ونرتع في السعادة .. كنت املي وحياتي .. ما اجمل حبنا العذب انني اعيش على ذكراه الجميلة.. واستمد منها غذاء لروحي ..
عائشة : ودست على هذا الحب بقدميك ..
يوسف : رغما عني ..
عائشة : انك تدعي هذا لتبرر جريمتك .
يوسف : لا يا عائشة .. يجب ان اصارحك بكل شيء .. لقدكتمت طوال هذه المدة مأساتي بين ضلوعي .. امك هي السبب .. جاءت ألي وتوسلت لاتركك يا عائشة .. ورفضت ، وبكت المرحومة كثيرا ، لانها تود ان تزوجك لابن اخيها .. واوضحت لي كل شيء زاعمة انني فقير لا اصلح لك .. ومست وترا حيا بي، فرايت ان اضحي بحبي لاسعدك.. مع ابن خالك الغني .. ولم استطع بعدها البقاء في بلدتنا ، فهاجرت ..
عائشة : (شاحبة) اوفعلت امي هذا؟
يوسف : ما الذي دفعني الى الهجرة ذن لولا فعل أمك ..
عائشة : ولماذا لم تخبرني بمسعاها ؟.
يوسف : وهل هذا معقول .. لقد استمرات التضحية .. وآثرت ان احمل شقائي معي ..
عائشة : (تتنهد) الان عرفت سبب ذهابك دون كلمة وداع .

يوسف : آه .. لو تعلمين كم تعذبت
عائشة : تعذبت اكثر منك .
يوسف : القدر اراد لنا عدم الزواج لحكمة لا نعلمها .
عائشة : ايقظت ذكرياتي الدفينة .
يوسف : لو كان فينا بقية من شباب لتوجنا حبنا الماضي بالزواج.
عائشة : عيب يا يوسف .
يوسف : صحيح . عيب .
عائشة : صارحت ابن خالي بانني احبك ، ومع هذا تزوجني .
يوسف : ارادة الله يا عائشة .
عائشة : لننسى الماضي .. اننا عجوزان لا يحق لنا ان نسترسل مع هذه الذكريات .
يوسف : كنت اتلهف على الساعة التي استطيع بها الافضاء لك بالحقيقة .
عائشة : رحم الله امي .. ما أقسى قلبها .
يوسف : ولهذا لا اريد ان تتكرر مأساتنا .
عائشة : وكيف يمكنها ان تتكرر ؟.
يوسف : عندما اخبرني جميل انه احب سامية منذ النظرة الاولى ، ادركت منطق هذه العاطفة ..انها تعويض لنا عما فقدناه من حبنا .
عائشة : اهكذا احبها ... منذالنظرة الاولى ؟
يوسف : وسعدت بهذه العاطفة الوليدة ، وصليت شكرا لله ..
عائشة : ولكن سامية لم تصارحني بشيء ..
يوسف : انسيت خفر العذارى ؟.
عائشة : سامية صريحة في كل شيء .
يوسف : على كل .. سليها ..
عائشة : سأسالها فيما بعد .
يوسف : اتوسل اليك باسم حبنا القديم ان تساليها الان لاتلذذ بالحمرة تومض على وجنتيها .. انني اعبد حمرة الخجل ..
عائشة : ما دمت تصر .. سامية .. سامية ...
(تدخل سامية متشحة بثوب حريري ناصع البياض التصق بجسدها الرشيق وابرز بعض مفاتنه .)
يوسف : (يقف ويصافحها بحرارة): عزيزتي سامية .. ابني جميل يريد ان يتشرف بخطوبتك ..هل عندك مانع ؟.
(يشتد وجيب قلبها ، وتخفق الحمرة على وجهها ، وتطرق براسها)
يوسف : انظري اليها .. انهاملاك ساحر .. ما اجملها .. انها صورة تامة لك .. وانت في مثل عمرها.. يا لحسن حظك يا جميل
عائشة : اتوافقين على خطوبة جميل لك يا حبيبتي ؟.
(سامية يزداد احمرار وجهها ، ولا تنبس) .
يوسف : أن جميلا جديربك . وهو يعبدك ..
عائشة : لم توافق ..
يوسف : اين فطنتك يا عائشة ، السكوت يعني الموافقة ..
عائشة : بعد ايام ساعطيك الجواب النهائي .
يوسف : لن اخرج من هنا قبل موافقتك النهائية . لان جميلا يفقد عقله اذا لم احمل اليه البشرى السارة .
عائشة : هل توافقين على خطوبة جميل لك ؟.. لا تستحي يا سامية .
سامية : الامر لك يا ماما..
يوسف (يدنو من سامية ، ويطبع قبلة على جبهتها) . اشكرك يا سامية ، وتأكدي ان جميلا خير زوج في العالم .
عائشة : اهكذا تم الامر بسرعة ؟.
يوسف : الحمد لله .. سنأتي هذا المساء لتقديم خاتم الخطوبة .. والان الى اللقاء ..
(يخرج يوسف ، وعندما يتمشى في الطريق العام ، يتلفت يمنة ويسرة ، حتى اطمأن انه لوحده راح يتمتم بينه وبين نفسه : ولكن ماذا استطيع ان افعل غير هذا ؟ انني ذكي جدا .. فقد ظهرت امامها كبطل ضحى بكل شيء لاسعادها .. ولكن هل كنت استطيع ان اقول لها .. انني كنت غير جاد في حبها .. وعندما طلبت امها مني ان ابتعد عنها ، ساومتها .. حتى دفعت لي مئة ليرة ذهبية .. هاجرت بها الى امريكا ، وبنيت بها نفسي .. اني ذكي جداً .. ولكن .. هل سمعني احد ، هل رآني احد ازيح القناع عن وجهي ؟. (يتلفت هنا وهناك) .. ولكن هذا خطر .. يجب الا اتمتم به بيني وبين نفسي ، . المهم .. ان يسعد الله جميلا وسامية ..)

حلب — محمد حاج حسين

تابع طفلة الامس

ما همني والدرب يضيق
فالى تعدي المسير
انا سائرة

فما بال الالم
يولد الندم
ويجعل الوهن
يردد : لامضي

انا لم ازل
في اوج النهم
انا لم ازل
لقنص الغد

فما همني وقد ضاق الطريق
انا الى تعدي المسير
سائرة

حلب — رينه عبودي

ابراهيم ناجي وشعره المضيع

بقلم وديع فلسطين



الشاعر الدكتور ابراهيم ناجي راوية ذكورا ، يحفظ شعره ويستظهر شعر غيره ، فيرتجل الملاحم والدواوين دون ان تصاب واعيته بالكلل ودون ان يحتاج الى استنهاض ذهنه . فاذا بدأ ينشد شعرا ، تدفق منه النظم كالطوفان المتلاحق الموجات ، وتراصت ابيات الشعر في اماكنها ، واستقرت الالفاظ في مواضعها ، فملك اسماع الناس وطير منهم الملل .

واعتمادا على هذه الذاكرة الوفية المطواعة ، اهمل الدكتور ناجي تدوين شعره ونشره ، فان دونه كان ذلك استجابة لرجاء من صديق ، او رغبة فى تحية غادة ، او معاونة لصحفي على ملء الفراغ المنوط به فى الجريدة ، او تسجيلا لقصيدة اناب غيره فى القائها .

وعلى هذا ضاع جزء كبير من شعر ابراهيم ناجي ، لانه اسلمه الى ايد لا تحسن الحفاظ عليه ، ولانه ضن به على الدوريات الادبية تهاونا منه من ناحية ، واستغراقا في عمله الطبي من ناحية اخرى .

وقد اتيح لي بحكم صلتي الوثقى بالدكتور ناجي ووكالتي له فى رياسة « رابطة الادباء » التى اسسها عام ١٩٤٥ ، أن اقتني طائفة من قصائد ناجي ، نشرت بعضها في حينه وطويت البعض الآخر الى حين . ولكنني ازاء الحاح طائفة من الاصدقاء ، وفي طليعتهم الاديب السكندري البصير الاستاذ نقولا يوسف ، والاستاذ محمد ناجي شقيق المرحوم الدكتور ابراهيم ناجي، ادرج فى ما يلي ما عندي من هذا الشعر مما لم يسبق نشره :

مرثية الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الازهر الاسبق :

انا افتقدناك والافهام حائرة
والبدر فى الليلة الليلاء يفتقد
فردد الغيل والاشبال ناظرة
خلا مكانك فيها ايها الاسد !
يا ايها المنهل الصافي لوارده
اي الموارد من بعد الردى نرد
لم يبق الا ندى الذكرى نلوذ به
يا ويحنا باللظى المشبوب نبترد
يا نائيا صامتا فى البين منفردا
يحوطه الف قلب وهو منفرد
وكيف يصمت من غنت فضائله
وذكره عاطر حي الشذا غرد
يا ايها الركن من نور دعائمه
له الفضيلة والاخلاق معتمد
اقسمت بالحق فى الوجه الوقور به
تبقى الليالي هذه العمد !
وكيف يذوي البلى من ذي مكارمه
ومن له كابي الطود معتقد
والله ما للبلى كف تطاوله
وليس يرقى له شيء ولا أحد
كأن جوهرة للموت صامدة
تكاد في ظلمات القبر تتقد
او ماسة تتحدى الدهر مشعلة
على التواريخ والاجيال تتسد
فما يمر زمان فى تغيبها
الا تلفت يستهدي بها البلد
وكل ناد بحفل العلم مؤتلق
وكل سامر فضل وهو محتشد
وكل باغي هدى والشك يأخذه
وكل طالب رشد وهو مجتهد

شيخي عليك سلام الله ، هل علم
القلب الكبير بأني هائم أجد ؟
وانني مرسل طرفي الى رجل
يسد ركنك فى قلبي فلا اجد ؟

ومن شعر ناجي المضيع ثلاث قصائد في « الانسة انعام » اولاها مؤرخة في ١٨ يناير (كانون الثاني) ١٩٥٠ وثانيتها مؤرخة في ٢٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٥٢ والثالثة مؤرخة فى فبراير (شباط) ١٩٥٣ وقد نشرها اخي الاستاذ رضوان ابراهيم فى « الاديب » فى شهر نوفمبر ١٩٥٤ ومطلعها :

ايه انعام والمحاسن كثر
ما لمن لم يقم بوصفك عذر

والقصيدة الاولى فى « الانسة انعام » نظمت بمناسبة زيارتها لمنزل ناجي فى صحبة نخبة من اعضاء « اكاديمية الفن » ونصها :

انعام يا روح الندي وانسه
الشعر انت وانت روح الشاعر
فى اي معنى من معانيك التي
تسبي النهى ابداع هذا الخاطر
في الشعر ام في النحر ام في مائس
متمايل ام فى الجمال الساحر
لا تعجبي للشعر انك غنوة
واللحن من صنع الاله القادر

وانا كطير في الروابي صادح
اشجته افنان الربيع الزاهر
غنى لمعنى في الطبيعة ساكن
في جفنها الشاجي واخر سافر
وكذاك انت فكم جمال مختف
في النفس موصول باخر ظاهر

والقصيدة الثانية نصها :

حققت الايام احلامي
وانعم الله بانعام
في ليلة ليست ببالي ولا
مرت ولا دارت بأوهامي
كتبت شعري مثل عاداته
يلقاك من عام الى عام
مقدما كالنجم في اوجه
قربانه للفلك الشامي

وكانت حكومة اسبانيا قد اهدتني وساما من رتبة « قومندور » بمناسبة زيارة السنيور ارتاخو وزير خارجية اسبانيا يومئذ للقاهرة في عام ١٩٥٢ . وكنت يومها احرر جريدة «المقطم» وكانت تزاحمها جريدة اخرى مسائية اسمها « الزمان » . فاراد ناجي ان يهنئني ويداعبني في آن ، فزارني في مكتبي ، وتناول ريشتي وكتب الابيات التالية :

قد هناوك بمجدك الاسباني
فمتى تكون مصارع الثيران ؟
امنحت اوسمة ومجدك اول
ماذا يهمك من نشان ثان ؟
اني اهنيك الفداة لانني
اهواك من قلبي ومن وجداني
ان «المقطم» و«الزمان» كليهما
الخالدان وكل شيء فان !

وشعر ناجي في الفكاهة والمداعبة والمسامرة كثير ، واغلبه مضيع في مفكرات الحسناوات وفي كراسات الطالبات وبطاقات الادوية (الروشتات) التي كان يودعها احيانا خواطره الشعرية . ولا ريب في ان شخصية ناجي الادبية لا تكتمل الا اذا جمع كل هذا الشعر ، ان امكن ، ليدل في جملته على الروح المراحة الجذابة للدكتور ناجي ، وعلى القلب الطفل البريء لهذا الشاعر الكبير الذي مات بغصة وانتهت حياته بمحنة دامية يعرفها خلصاؤه ومحبوه .

ولن انسى آخر مرة زارني فيها الدكتور ناجي في مكتبي ، فقد كان يمثل البؤس مجسما ، وكان جسمه الضئيل قد ازداد تضاؤلا ووهنا . ولم يكد يستقر الى جواري حتى اجهش بالبكاء كمدا على ما لحق به من غدر وظل ينفس عما في صدره حتى قام مودعا وعيناه بالدمع مبللتان . وبعيد ذلك انهار ناجي نفسيا وصحيا فجاءه الموت بغتة وهو يؤدي رسالته الانسانية في مجتمع جحد فضل رسالته الانسانية .

القاهرة وديع فلسطين

سيكارة

لماذا احب السيكاره
اللنار تكمن في قلبها
وتحرقها في الظلال الجميلة
تغيب باشرعة من ضباب
لعوب نحيلة
اللجعدة الحلوة الناعمة
ترف باذيالها
خيوط الحرير
تحيك لزهو المفاتن شال
يهيم عليه الخيال
خيال العبير
لماذا تسير الى اين لا اعلم
فناء من الحب هذا الفناء
وجرح من الوجد لا يكتم
اساها اذا ما تماوج عبر الاثير
اسى مبهم
تراها تحب النجوم
وتمضي اليها
تلف هواها الغيوم
وتحنو عليها
وتفنى بقلبي وقلبك انت
وتفنى بسر الفضاء
تراها تغيب بسر اللهيب
محال محال
لها كبرياء .

حلب عزيزة هارون

دمشق في الليل

مد الظلام يدا مخضبة ... من عاصف الاشواق ترتعد
وحبا يبث (دمشق) صبوته ... بلسان شوق ليس يقتصد
ويقص من اشواقه سيرا ... لم يحكها في غابر احد
تلقاه حينا غير متئد ... فيما روى وتراه يتئد
وكانه مما أفاض به ... ما كان يامل أن يهل غد
أنت له الانسام حين شكا ... مستعبرا ودموعه بدد
وتكاد آماق النجوم له ... تنهل احزانا وتطرد
والسحب تضرب في مساربها ... حيرى بلا هدف وتحتشد

لبست (دمشق) غلالة عجبا ... افوافها من قاتم زبد
نشرت حواشيها مرفرفة ... وتجمعت وكانها زرد
ما شابها في لحمة عور ... يزري بها او شابها أود
نسج كمصقول الصبا عجب ... تهفو له الابصار والكبد
راحت دمشق بـل مجلببة ... في زاخر والليل يطرد
كسفينة بالقار مطلية ... يرمي بها الانواء والبرد
ضلت لمقدور شواطئها ... في عاصف يطغي ويقتصد
والريح تقذفها وتدفعها ... قسرا وثوب الليل منعقد

القت دمشق يدا على كتف ... لليل واشتبكت يد ويد
وغفت بحضن الليل حالمة ... وكانها في حضنه ولد
قلبان شفهما الجوى زمنا ... في قلبها الوجد الذي يجد
ما اعجب الحالين حالهما ... كل له الورد الذي يرد
قلب لها عصفت بلا بله ... للذكريات وجاش يتقد
ترنو الى الماضي فيطعمها ... ماض اغر وصارم فرد
من (عبد شمس) لم تزل صور ... من روعة خلف البلى تقد
والليل ضم يديه في وله ... ضم الرؤوم لها جس يفد

(بردى) يزغرد في مساربه ... من نشوة وكانه غرد
في كل مرحلة يسير بها ... لحن له ووساوس ترد
قيثارة بيديه عازفة ... ما كر دهر او اهل غد
يستصرخ الماضي بنامته ... فيهب تاريخ ويحتشد
والغوطة الخضراء تحسبها ... ليلا بهيما ما له امد
واذا تمايل دوحها سحرا ... لحمائم في الماء تبترد
عصف النسيم معاتبا وله ... نوح الحمام بكت لما تجد
ورأيت بحرا جاش في قتم ... وحدا به الاطماع والحسد

تكلم (دمشق) وكل رابية ... من دونها لمخاتل رصد
عبق النبوة في مرابعها ... منهلة طابت به البلد
والوحي يجلى في جنائنها ... صورا يضيق بحصرها العدد
صور من الالوان مائعة ... من ذائب يجري ويتقد
(وبقاسيون) ملاحم سطرت ... عن غابر وغرائب جدد
شابت ترائبه وما وهنت ... يوما له عند الحفاظ يد
تلقاه يربض في مشارفه ... وكانه دون الحمى اسد

دمشق — عدنان مردم بك

الابعاد النفسية في فخر المتنبي

بقلم ايليا الحاوي

تمثل سيرة المتنبي في اضطرابها ، وتمزقها سورة لما شاع في عصره من اختلال وقلق في المقاييس الاجتماعية والمثل ، وحيرة الانسان بنفسه ومصيره ، في بيئة عبثت بها الفوضى وانتهكت فيها الحرمات، واشتدت الازدواجية في الشخصية البشرية ، حتى اصبح العيش فيها يتعذر ويستحيل على رجل ، لم تخمد في نفسه جذوة المثالية ، ولم يرض من الوجود بان يستمر ويحيا ، مقتنصا لقمته كيفما تيسرت له .

ولد المتنبي في كندة ، وهي احدى محال الكوفة ،وقد كانت الكوفة ، عصرئذ، ملتقى الدعوات الباطنية ، بالاضافة الى الدعوات السياسية . وقد كان العلويون ، تحت وطأة الكبت والتنكيل السياسي يغذون في نفوسهم حلما بعودة المهدي المنتظر ، وربما اشبعت نفسية ابي الطيب بهذه التعاليم وتسربت الى اعماق وجدانه وطبعته بشعور مبهم، حاد ، سوف يظل يتضاعف ويتقمص ، حتى يظهر تاثيره في حياة المتنبي العتيدة .

وثمة ايضا القلق السياسي الذي كان يسيطر على الخلافة العباسية ، حيث كان كل قوي يقتطع لنفسه ولاية يستبد بحكمها مما يذكي في النفس احلام السيطرة والطموح . ولقد شهد المتنبي هذه الاحوال وتأثر بها غاية التأثر ، لكنها لم تشغله عن التحصيل العلمي العميق المتشعب الجذور ، حتىالم بوجوه الثقافة التي كان يحفل بها عصره . وهكذا ،يتمثل لنا المتنبي في مستهل شبابه فتى تزخر نفسهبالاحلام الباطنية الكثيرة الغموض ، والعودة الثانية والامام المهدي الذي ينهض بالمسلمين ، جامعا الى ذلك ثقافة متوغلة ، نافذة .

الا اننا نعجز عن فهم نفسيته ، في تلك الحقبة اذا لم نتمثل ذلكالشعور بالتفوق الذي ابرم في عصب الشاعر ، حتى التيه والعجب . وقد تضاعف ، وتطعم وتعقد بولادته الوضيعة ، اذ لم يكن ذا مصير خطير ، بل سقاء يكاد يعجز عن تحصيل لقمته ودفع العوز عنه وعن اهله . الا ان ذلك لم يكن ليخمد تلك الجذرة الداخلية التي ما انفكت تتسعر في نفسه ، هازئا بكل ما تضاعف وتعقد فيها ، وبكل ما يجعله مختلفا عن ذوي المصائر العظيمة . ولقد عبر عن ذلك بقوله :

اي عظيم اتقي   اي مكان ارتقي
وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق
محتقر في همتي كشعرة في مفرقي

انت ترى ان الشاعر يعبر عما يشعر به من تعاظم على الناس الذين يحيطون به ، مهما سموا وتعالت مراتبهم حتى ليشعر انهم شعرة تافهة في مفرقه . وابو الطيب في ذلك لا يعلل السبب الذي جعل هذا الشعور يتخطفه ، وينزو به ، بل ينقله نقلا صادقا ، عفويا ، لا مراء فيه ولاصنعة .ويقيني ان هذا الشعور هو طبع فيه ولد معه منذ ولادته ، لقد كان عصب المتنبي عصب اباء وترفع ، حتى اذا اراد الا يشعر بالتفوق فانه يكاد يعجز على ذلك، كما يعجز الكئيب عن التحرر من الشعور بكآبته ، والمريض بمرضه ، والقوي بقوته . ولو لم يكن الشعور بالتفوق عصبا راغما يستبد بنفسية المتنبي لما رأيناه يسير حياته ، ويكيف مجراها ، حتى ليصبح في النهاية كالصليب الذي يحمله الانسان على كتفيه ، او الذي يشرعساعديه عليه في جلجلة الكبرياء والطموح .

وهكذا فان الشعور بالتفوق والطموح كان يشرق صافيا في نفسه باضواء الامل ، والتفاؤل فيستخف بالناس وقد بدا هذا الشعور شعور رجل لم يخبر الحياة ولم يعاركها ، وما برح يواجهها من خلالغلالةالاحلام والاوهام ، فيخيل له ان ما يتفكر به سريع التحقيق وانه قادر ان يفعل ما يشاء دون عوائق وصعوبات . وما عتمت ان تلونت نفسه بالبيئة التي عايشها . فالتعاليم الدينية رسمت ذلك الشعور الغامض الذي كان يخفق ويضطرب في اعماق وجدانه ، واعطته شكلا حسيا . ولشدة ما توغل ابو الطيب في شعورهبالتفوق ، التبست عليه الامور وتقمصت عواطفه بعضا ببعض ، فجعل يتوهم انه المهدي الذي ما برح الناس يترقبون عودته ويفزعون اليه في خلاصهم . الا ان المتنبي لم يتجرا ان يعالن الناس في الكوفة او في سواهامن الحواضر ، لانه ما برح مجهولا فيها. لذا رايناه يتجهالىالاعراب الذين كان قد اخذ عنهم اللغة ، باثا دعوته فيهم بعد ان خلبهم بفصاحته .

وقد كان ذلك اول انطلاق لشعوره بالتفوق من كونه وجيبا وحدسا غامضا في نفسه ، الى مواجهة الناس والواقع . لكن لؤلؤا والي حمص من قبل الاخشيديين لقيه ، فبدد شمل اتباعه وسجنه حتى اوشك على التلف ولم يكن ذلك السجن قيدالجسده ، بقدر ما كان قيدا لروحه ، حتى انتقلت الظلمة من بين جدران السجن الى ضمير الشاعر ، فاظلمتنفسه ، وتبددت تلك الاضواء الزاهية التي كانت تسطع وتتالق فيها ، في مستقبل فتوته ، عندما كان يشعر في زهوه وتماديه ، ان الناس شعرة تافهة فيمفرق طموحه . لقد كان ذلك السجن سجن الواقع ، والتقاليد والسلطة وما الى ذلك مما لميكن الشاعر يحسب له حسابا . ولقد اذكى هذا السجن في نفس المتنبي الشعور بالتناقض والازدواجية والتمزق . يشعر في اعماقه انه اعظم من القوم الذين يتسلطون عليه ، لكنه يعجز ،فيالان ذاته عناعلان هذا الشعور ، او بالاحرى

عن تحقيقه ، وظلت احلامه تتدافع وراء جدران نفسه ، تذكي في اعماقه حس الندم والبراح والهزيمة .

وهذا الواقع عظيم الاهمية في الدلالة على حقيقة الفخر في شعر ابي الطيب . فالشعور الداخلي بالتفوق الذي حرمته المحاذير الخارجية كان يتنفس في شعره ، فاصبح يحقق في الكلام ما عجز عن تحقيقه بالافعال . لهذا رأينا ان سحابة من الاصفرار والقنوط تغشى شعره في تلك الحقبة ، ويتولاه شعور بالهزال والتشاؤم ، أضفى على صوره ومعانيه غلالة وجدانية عميقة البث والايحاء . فهو نبي ، لكنه نبي مخذول ، يعيش في قوم لا يقدرونه حق قدره :

ما مقامي بارض نخلة الا ... كمقام المسيح بين اليهود
انا في امة تداركها اللـه ... غريب كصالح في ثمود

انت ترى ان خيوط الظلمة تسربت الى نفس المتنبي، فاين هذا الفخر الموحش القانط من ذلك الفخر الذي اشرنا اليه في الابيات السابقة ، حيث كان الشاعر يطل من باب الرؤيا والتجلي ؟ الا ان الشاعر بالرغم من شعوره بالفشل ، وبالرغم من تفوت امانيه ووحشة نفسه ، ما برح يشعر في اعماق وجدانه انه نبي ، انه مسيح بين يهود الاطماع والمال والسلطة وانه صالح بين ثمود الواقع الذي نحر احلامه كما نحر الثموديون ناقة نبيهم .

لا شك ان الشاعر لم يعبر عن هذا الامر بوعي ووضوح ، كما نعبر عنه نحن الان فهو يعاني تحولات ومضاعفات كثيرة طي ضميره ووجدانه يعانيها معاناة ، ولا يحللها تحليلا . فالمتنبي الذي يتوهم نفسه نبيا وصالحا ، هو ذاته المتنبي الذي يشعر ان الناس شعرة تافهة في مفرقه ، والفرق بين حالته الاولى والحالة الثانية ، هو فارق زمني او بالاحرى انه فارق اختبار الحياة ومواجهة الواقع ، والتعقد بصعوباته ومستحيله . وهكذا ، بات المتنبي وبتنا نشعر معه بشيء من الكسوف في لألاء ذلك السراب الذي كان يقلق ويتفجر في واحة نفسه .

المتنبي وسيف الدولة ، او التفاخر السلبي

لم تكن مرارة السجن اكثر تأثيرا في المتنبي من مرارة الفقر . فهو ما انفك يتنازع بقاءه صفر اليدين ، متجولا بين بلدة واخرى ، متجالداً ، على قدميه ، شاعرا ان القدر يضطهده وان الناس يمالئون القدر في اضطهاده . وقد كانت اللقمة تشد به دائما من عالم الطموح والمثل الى عالم الكسب والمعيشة ، حين تروج تجارة الكذب والنفاق فلم ير بدا من الاذعان للواقع فشرع يبيع شعره في « سوق الكساد » لقاء دريهمات قليلة يكسبها بشق النفس وتعفير الجبين . ويقيني ان هذا التوتر الداخلي ، هو الذي كان يفيض في نفس الشاعر بتلك الصورة الشاحبة ، المكدودة ، ويذكي في وجدانه التجربة الشعرية ، لان الشعر الصافي الخالد لا يتولد الا من احتكاك النفس ومدها وجزرها بين راحة اليقين والشعور بالضياع والاختلال عندما تقف امام الواقع منعمة بالتحديق فيه .

ولقد شرع ابو الطيب ينحدر ويتخلى عن ذروة الرفعة والطموح متكيفا بالنسبة للواقع الذي يعايشه . لذلك فهو لم ير بدا من الاكتفاء من الطموح بان يصبح شاعراً يصف اعمال البطولة التي كان يحلم بها ، وهي تتحقق في سواه . وهكذا دخل الى بلاط سيف الدولة وهو في نحو الثلاثين من عمره ، وقد افاد كثيرا من التجارب النفسية ، والفنية ، فكسف سائر الشعراء الذين كان يحفل بهم بلاط الامير ، وما عتم ان اثرى واشتهر في الناس حتى غدا يشغلهم ويفتنهم . وبذلك يكون قد حقق جانبا من جوانب بطولته وعظمته الفنية الشعرية ، دون ان تخمد في نفسه الجذوة الباطنية التي ما برحت تذكي في ضميره ذلك الحس المريض بالتفوق والامتياز .

ولعلنا اذاً ما اوغلنا في استبطان نفسية ابي الطيب في هذه الحقبة لتحقق لنا ان الشاعر كان يعيش في حالة من التعوض النفسي ، يعيش في اجواء ملحمة العلى والبطولة، لكنه لا يتمرس بها ، ولا يشارك فيها ، بل يشاهدها ، ويواكبها بوجدانه ، لذلك ظل يشعر بفراغ في اعماقه ،لكنه ليس ذلك الفراغ الذي لا يطاق ، كما انه ليس اليأس المطبق ، بل هو اشبه شيء بالتململ والترقب . لهذا ، يمكن ان نشهد شيئا من التقمص والتحول بين الشاعر واميره فكأنه كان يصور في مدح سيف الدولة الاحلام التي كانت تراوده . فالينبوع الذي كان الشاعر يختزنه في نفسه ، تفجر في مدائحه لسيف الدولة ، اذ اشترك عصب الشاعر وما فيه من احساس عميق بالبطولة بامداده بتلك الصور الملحمية الخارقة التي صور بها سيف الدولة . وهكذا ، يمكن ان نقول ان سيف الدولة كان الذات الثانية لابي الطيب . لقد كانت نفسية الشاعر القوة ونفسية سيف الدولة هي الفعل الذي تمثلت به تلك القوة .. لقد كان المتنبي يزدوج ويتضاعف بسيف الدولة. فهو اذ يقول :

تظل ملوك الارض خاشعة له ... تفارقه هلكى ، وتلقاه سجدا
ذكي تظنيه طليعة عينه ... يرى قلبه في يومه ما ترى غدا
وصول الى المستصعبات بخيله ... فلو كان قرن الشمس ماء ، لاوردا

اولا نستشف خلال قوله هذا ، كثيراً من الفضائل التي كان المتنبي يدعيها لنفسه . أولم يصور نفسه ، دون ان يدري من خلال هذه الابيات .؟ لا شك ان بعض النقاد يرون في هذا التحليل كثيراً من التمحل والتقصد ، الا ان الذين خبروا علوم النفس يدركون كيف تتقمص احوال النفس ، وتتسرب بصورة خفية قاتمة كالحلم ، او كالرؤيا الغيبية . والشعر في تحديده الاصيل ، ليس الا تعبيرا

عن تلك الاضواء المثالية التي تخطف في النفس عندما تتنازع مع الواقع ، وتصاب بالكبت ، او يطبق عليها المستحيل .

وبعد فما هي الغرابة في ان ينقل ابو الطيب احلام العلى والطموح من نفسه الى ممدوحه ؟ اولا يقوم المدح اصلا على تطعيم بين نفس الشاعر والممدوح ، ان يعبر هذا عن ذاك ، وهكذا ، فان المتنبي يكاد لا يلم بمدح سيف الدولة حتى تتضوأ ظلمة وجدانه وتتوحد نفسه مع الموضوع وتتكيف بالنسبة له ، حتى لا نعود ندرك اين تقف الحدود بين شخصية الشاعر وشخصية الممدوح . او لم يكن المتنبي يحلم بان يكون ملك الملوك ، يلقونه خاشعين ساجدين . ومن هو ملك الملوك ، اليس هو النبي الذي تفوق قدرته سائر البشر . وهكذا ، فان الصورة التي شخصت في البيت الاول كانت رؤيا داخلية في نفس المتنبي، طالما تمثلها ، عندما كان يغمض عينيه ويحقق في الوهم ما ما كان يود ان يحققه في الواقع . وكذلك الامر في قوله :

ذكي تظنيه طليعة عينه ، يرى قلبه في يومه ما ترى غدا

او ليس الرجل الذي يدرك الامور قبل ان تقع والذي يعرف اليوم ، ما سوف يأتي به الغد ، اليس هذا الرجل هو نبي ؟ ونحن اذ نتقصى لا ننفك نستشف مثل هذا التقمص البعيد بين الشاعر وممدوحه ، حتى اننا نكاد لا نشهد صورة مثل بها المتنبي سيف الدولة ، الاوفيها سورة من سور النبوءة . اليك ما يقول :

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم
تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى الى قول قوم انت بالغيب عالم

انت ترى ان الشاعر جعل سيف الدولة يقف في جفن الردى وجعله يعلم بالغيب ، وهذه الاعمال وتلك الصفات لا تصدق الا في الانبياء ، وذوي المصائر الفائقة . لا شك ان وراء هذه الاقوال رغبة في الغلو ، والتمجيد والتعظيم ، الا أن نفس المتنبي هي التي صورت البطولة والعظمة بهذا الشكل . ولو تصدى امرؤ غير المتنبي لرسم البطولة لما رسمها بهذا الاسلوب ولما قدر له ان يجعل الممدوح نبيا . وهكذا ، فان الموضوع هو من سيف الدولة ولكن الصورة هي من نفس المتنبي ، وقد فاضت من اعماق وجدانه وما ترسب في قاعه من سور بعيدة رسمها الشاعر عبر احلام البطولة والتقوى التي كانت تراوده . وهذه الابيات التي مدح بها سيف الدولة هي من ادل الابيات على واقع الفخر في شعر المتنبي ، بالرغم من انها ليست من الفخر المباشر الواضح . واذا ما اكتفى الناقد بالظواهر البينة ، الواضحة الحدود ، فانه لا يقع الا على الاطار الخارجي الذي تستتر به حقيقة الاشياء .

الا ان الشاعر وهو في ذروة علوه ومجده الشعري ، في بلاط سيف الدولة ما برح يواجه الواقع ، ويتنكد به . وبقدر ما يتعالى ويسمو ، بقدر ذلك يشعر انه يتشبث به ويشده الى اسفل . ذلك ان الحساد تكاثروا عليه ، وحاولوا ان يوقعوا بينه وبين سيف الدولة ، وظلوا يكيدون له ، ويعبثون به ، حتى تواقع مع سيف الدولة ، وتركه الى الشام ثم الى كافور الاخشيدي والي مصر الذي استقدمه بعد ان وعده بان يقطعه ولاية .

ولعلنا لن نوفق في التوغل بدراسة نفسية الشاعر في تلك الحقبة ، اذا لم نقدر الخيبة التي فجع بها اثر خروجه من بلاط سيف الدولة . لا شك انه كان قد اثرى « وانعل خيله » من عطائه عسجدا ، لكن ذلك الغنى المادي لبث ينطوي على كثير من التضور الروحي ، والاحلام التي رفع قبابها في نفسه المراهقة ، ما برحت تلاحقه ، وتطارده . ولشدة ما كان قد الح بها في نفسه ، اصبح يشعر عندما تعذر عليه تحقيقها ، بالفجيعة التي يشعر بها الملك الذي يفقد عرشه ، او النبي الذي يفقد رعيته .

وكان المتنبي ، بعد هجر سيف الدولة ، قد شارف على الكهولة ، واوشكت أن تخمد فيه جذوة الغرور وتالق الاماني التي تشرق في صبح العمر ، فادرك انه سوف يبقى احد المرددين والمغنين للابطال في جوقة العلى ، ولن يكون بطلا يتحدث به الناس ويتغنون ببطولته . وربما سئمت نفسه التملق والنفاق ، لكنه لم يتب وييأس ولم تعف الايام على احلامه ، بل رأدوها مرة اخيرة في بلاط كافور الاخشيدي ، منحدرا غاية الانحدار ، متبذلا غاية التبذل . ولئن كان في مدحه لسيف الدولة مبرر امام نفسه ببطولة سيف الدولة ، فلم يكن له اي شافع امامها في مدحه لكافور ، وهو عبد زنجي مثقوب المشفرين ، مشقق القدمين هائل البشاعة ، امي ، اغتصب الملك من ابن سيده . والواقع ان كافورا كان يمثل نقيض الفضائل التي كان يدعيها المتنبي . وكما كان سيف الدولة شقيق المتنبي في روحه ، كما كان ذاته الثانية التي تحققت في الواقع ، كان كافور ، يمثل نقيضا لذاته ، او مسخا لها .

الا ان المتنبي لم يتورع عن السجود له ، وتقبيل الارض بين يديه ليقطعه امارة حقيرة يشبع بها نهم نفسه الى السلطة . الا ان كافورا كان يعده ثم يخلف الوعد ، وما عتم ان تفاقم الخلاف بين الشاعر والعبد ، فمنعه كافور من الرحيل دون أن ينعم عليه او يكرمه ، او يقطعه ولاية . وفي هذه الاثناء الم به حمى البرداء ، فانقطع الى مخدعه حزينا ، وحيدا ، لا يعوده احد ، ولا يبالي به كافور فشعر ان حياته فشلت فشلا ذريعا ،وانه ابتدا في ذروة العلو والانفة ، واذا به يجد نفسه كهلا ، وهو ملقى على فراش الذل عند قدمي ذليل يستبد به ، ويقبض عليه انفاسه . وكان الشاعر يأمل ان يقبل العيد فيحقق له كافور ما سبق ان وعده به ، الا ان العيد مر دونه ايضا ، موحشا قاتما لا ضوء فيه ولا أمل ،فتسعرت نفسه بحقدها على الذين وتروها منذ ان كان في بلاط سيف الدولة ، وحقدها

على كافور ، وعلى الذين ما برحوا يتعالون عليه ، دون ان يكون لهم فضيلة سوى رفعة الاصل ، وحقد نفسه على ذاتها ، بعد ان سجدت لذلك العبد الخصي ، فانفجر الشاعر بتلك القصيدة التي هجا بها كافورا في الظاهر ، والدهر والناس والعصر ، في الواقع ، متسائلا بقوله :

ماذا لقيت من الدنيا ؟ واعجبه   اني بما انا شاك منه محمود

ان عصب المتنبي ما برح ينبض في هذه القصيدة ، ولكن راسه المتشامخ العاتي ، يبدو منحنيا ، ذليلا واساريره التي كانت تتألق بالكبرياء والمنعجهية في البدء اصبحت تبدو الان كثيرة الانقباض والتهجم كانما ترتسم على وجهه مأساة العصر الذي يعايشه بكاملها .

واذا ما انعمنا بهذه القصيدة الهجائية ، نراهاتنطوي على كثير من معاني الفخر خاصة في قوله :

ما كنت احسبني احيا الى زمن   يسيء بي فيه عبد وهو محمود

هذا البيت يوجز مشكلة المتنبي . فهو يحقد على كافور ، بخاصة لانه عبد يستذله . ومن خلال هذه الفلذة يمثل لنا الشاعر اختلال القيم والمقاييس في ذلك العصر . فالانسان لا يرتفع ويسمو بعلمه وكفاءته ، بل بقدرته على الاحتيال والاغتصاب . ومن هنا كان استبداد كافور بالمتنبي ، عنوانا لذلك العصر الذي تناقضت فيه المفاهيم ، فبدلا من ان يحكم الحر العبد ، نرى العبد يتحكم بالحر . وبدلا من ان يتحكم العالم بالامي الجاهل ، نرى الامي الجاهل يتحكم بالعالم . وبدلا من ان يسيطر الرجل الكفوء على الخصي العضريط ، نرى الخصي العضريط ، يستبد بالحر .

وبالاختصار ، فان القوة هي التي كانت تسيطر في ذلك العصر على الحق والجدارة . وبهذا ، تتعدى نقمة المتنبي كافورا ، الى واقع البيئة التي يعيشها . وبعد ان كان فخر المتنبي ، في البدء ، فخر رجل فرح مغتبط ، اصبح فخره في هذه المرحلة ، فخر رجل حقود تتميز في نفسه الثارات والضغائن . وغدا فخره مشوبا بالهجاء ، ابدا ، او بالاحرى لقد انعكس فخره الى هجاء يلعن به القوم الذين يعايشهم اذ يقبلون بالذل . ولسوف نتحقق من ذلك في هجائه لاهل مصر اثر رحيله عنهم .

واقع الفخر في شعر المتنبي

اسلفنا في الصفحات السابقة ان عصب المتنبي كان عصب طموح وعتو راغم . وتكاد نفسه لا تنبض ببيتمن الشعر حتى ينبض ذلك العصب ، اكان بصورة واضحة جلية ، ام بصورة قاتمة ، غائمة . ويمكننا بذلك ان نقول ان قصائد ابي الطيب ، اكانت مدحا ، ام رثاء ام غزلا ، ليست سوى وجوه مختلفة لنوع ادبي واحد يغلب في شعره كافة ، وهو الفخر . فالشاعر يفخر خلال مدحه، ويفتخر ايضا ، خلال رثائه ، ويفتخر خلال غزله وهجائه، ونكاد لا نعثر على قصيدة في مدح سيف الدولة الا وتعقبها ابو الطيب بأبيات من الشعر يعتو ويتشامخ فيها بتفوقه وعظمته . فهو يقول :

وما انا الا سمهري حملته   فزين معروضا وراع مسددا
وما الدهر الا من رواة قصائدي   اذا قلتشعرا اصبحالدهرمنشدا
فسار به من لا يسير مشمرا   وغنى به من لا يغني مغردا
اجزني اذا انشدت شعرا فانما   بشعري اتاك المادحون ، مرددا
ودع كل صوت غير صوتي فانني   انا الطائر المحكي، والاخر الصدى

انت ترى أنهذه الابيات هي ابيات من الفخر المباشر بالاضافة الى ما اشتملت عليه القصيدة من فخر غير مباشر . وابو الطيب ، خلال هذه الابيات ، لم يتخل عن ادعائه التفوق والقيام بالمعجزات . فشعره ، كما يدعي يسير بمن لا يسير ، اي انه يشفي الكسيح . لا شك ان الشاعر لا يعني ما يقول . الا انهذا القول بالرغم من ذلك، يوحي بواقع نفسية الشاعر التي ما برحت تشعر فيأعماق ذاتها ، ان فيها شعلة ليست في سائر النفوس وانهاقادرة على ما تعجز عنه ، ويستحيل على النفوس الاخرى . ولقد بدا ذلك في قصيدة ثانية عاتب بها سيف الدولة ، عندما اشتدت الخصومة بينه وبين حساده . لقد قال :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا   بانني خير من تسعى به قدم
انا الذي نظر الاعمى الى ادبي   واسمعت كلماتي من به صمم

فالشاعر يرى انه خير من تسعى به فدم وأنه قادر ان يجعل الاعمى يبصر والاصم يسمع . ولا قبل بهذه الاعمال الا للانبياء . فهو يتشبه بالمسيح مرة ثانية . وهكذا فان الشاعر مهما اتقى وتستر بقدرته وتفوقه ،فان هذا الاعتقاد يتسرب من نفسه تسربا ، ويعلن عن ذاته بصورة غير مباشرة . فالمتنبي ، فيما كان ينعم ببلاط سيف الدولة ، لم يكن قد تخلى عن ايمانه بتفوقه وربما نبوءته ، بل اضطر ان يستتر بذلك ، تخوفا ، وتكيفا بالنسبللواقع ومهما يكن من امر ، فان مدح الشاعر هو وجه اخر لفخره ، يقترب منه ، ويتقمص فيه ، واحيانا ينبري منه بصورة سافرة كما رأينا في الابيات السابقة .

الفخر في الرثاء

لعلنا اذ ننعم بفخر المتنبي خلال المدح ، نستشف ان المدح ليس الا تغنيا بالبطولة والفضائل . انه تفاخر بالاخرين . اما الفخر في الرثاء ، فيضع امامنا ظاهرة غريبة ، لان الرثاء ليس ، في الواقع ، سوى تفجع وانهيار، وهو لا يسيغ الفخر والعتو مطلقا . الا ان عصب المتنبي لم يستسلم في رثائه ، فهو لا يرى حرجا

في ان يقف على اشلاء الاخرين ، متعاليا متشامخا كأنـــه يشاهد المأساة مشاهدة من الخارج ،وليس يعانيها معانـاة من الداخل . يقول خلال رثائه لوالدة سيف الدولة :

رماني الدهر بالارزاء حتـــى فـؤادي في غشاء مـن نبـال
فصرت اذا ، اصابتني سهـام تكسرت النصال على النصـال
وهان ، فما ابالي بالرزايـــا لاني مـا انتفعت بان ابالي

فالشاعر هنا ، يتحدث عن النصال التي تتكسر بعضا على البعض الاخر ، كانه يتحدث عن معركة او يصف وصفا ملحميا . وبالرغم من انه يرثو والدة سيف الدولة ، فقــد خص كبرياءه بثلاثة ابيات تشامخ فيها على الموت والدهر ، ونافس المصائب، محاولا ان ينتصر عليها ، غير شاعر بها ، او مذعن لها . فهو يريد ان تمر به المصائب دون ان ينحني، كانه يود ان يبقى على حالة واحدة في جميع احواله .ولقد تقمص هذه التجربة ونسبها في القصيدة ذاتها الى سيـف الدولة اذ قال :

وحالات الزمان عليـك شتـى وحالـك واحد في كل حـال

فالشاعر قد حقق في المتنبي ما كان يتمنى ان يحققـــه في نفسه . وهذا يؤكد ما ذهبنااليه اذ قلنا ان سيف الدولة كان الذات الثانية للمتنبي، يحقق فيها ما يتمناه ، وما يريد ان يحققه في نفسه . ولقد منح الشاعر سيف الدولة هذه العصمة عن الشعور بالرزايا والمصائب في قصيدة اخـرى رثا بها ابنه ابا الهيجاء، اذقال :

ولم ار اعصى منك للحزن عبرة واثبت عقلا والقلوب بلا عقل
تخون المنايـا عهده في سليله وتنصره بين الفوارس والرجل
ويبقى على مر الحوادث صبـره ويبدو كما يبدو الفرندعلى الصقل

ولعل عنجهيته ، اشد ما يظهر في رثائه لجدته ، وقـد شخص امام جدثها كانه بطل في ساح القتال وليس حفيدا يتفجع ويبكي موت جدته . ففي مطلع القصيدة نراه يرسم لنفسه صورة شبيهة بالصورة التي رسمها لها ، عندما رثـا والدة سيف الدولة فيما بعد . لقد قال:

الا لا اري الاحداث مدحا ولا ذما فلا بطشها جهلا ، ولا كفها حلما
الى مثل ما كان الفتى‌مرجع‌الفتى يعود كما ابدي، ويكري كماارمى

فالشاعر هنا يترفع عن الاحداث التي تلم به ولا يتأثـر بها ، او بالاحرى يريد ان يبقى على حالة واحدة في جميع الاحوال . وهذا النوع من الفخر ، يبدو اكثر انسانية لان الشاعر يعاني فيه عاطفة انسانية طبيعية ، في محاولتـه للانتصار على الالم وعدم الانهيار امامه. وهذا الفخر وليد التأمل بالحياة ، والمصائب التي تخني بها الانسان ، الا انه يتصف‌بما عرف في نفسية المتنبي من تكابر حتى علـى المصائب فابن الرومي ، عندما فجع بموت ولده، تفجع وتهالك وجعل يعول وينوح،كالمهلهل والخنساء . اما المتنبي فقـد شمخ وعتا وأنكر جرحه، بالرغم من ان الدم ما برح يسيـل منه . ولا نعتم ان نراه يربد في عتوه مفتخرا بنفســه ، حتى على جدته المسكينة التي ماتت فرحة بكتاب انفـذه اليهـا :

ولو لم تكوني بنت اكرم والـد لكان اباك الضخم كونـك لي‌اما
لئن لذ يوم الشامتيـن بيومهـا فقد ولدت مني لانفهم رغمـا
تغرب لا مستعظما غير نفسـه ولا قابلا الا لخالقـه حكمـا

انت ترى ان الشاعر يجد نفسه في بحبوحة من المجـد والعظمة حتى ارتدت منه الى جدته . وهو لا يستعظم غير نفسه ، ولا يخضع الا للخالق . ولابدع ، فالشاعر ، عندمـا رثا جدته لم يكن قد هجر سيف الدولة مخذولا ، ولم يكـن قد سجد لعبد خصي ككافور ،لذلك نراه‌في اوج عتوه، يزهو بحالة شبيهة بالحالة التي كان يزهو بها في مستهل شبابه ، عندما شعر ان الناس ليسوا سوى شعرة تافهة في مفرقه، بالرغم من انه خلال هذه الابيات، شرع يشعر بوطأةالحساد والشامتين . والفخر كمابدا في الابيات السابقة ليس‌فخرا تقليديا بقوة السيف واقتحام الوغى ، بل انه فخر نفسـي بقوة الارادة والطموح،وعدم‌الاذعان للمصائب. وهذا الفخر هو اصفى مفاخر المتنبي اذ يعبر به عن سورة النقمة التي تجره تحت وطأة الحوادث الخارجية التي تقبل عليه .

ولقد استطرد الشاعر في الجزء الثاني من القصيدة عـن الرثاء ومضى في زهوه وتفاخره حتى‌تحولت القصيدة الـى الفخر المباشر الصرف :

يقولون‌لي من انت في كل بلدة وما تبتغي؟ ما ابتغي ،جل‌ان‌يسمى
واني لمن قوم كأن نفوسهـم بها انف ان‌تسكن اللحم والعظما
كذا انا يا دنيا،فان شئت فاذهبي ويانفس زيدي كرائهها قدمـا
فلا عبرت بي ساعة لا تعـزني ولا صحبتني مهجة تقبل العظما

ولقد بلغ في هذه الابيات غاية العتو ، خاصة عندما انف من ان تسكن‌نفسه اللحم والعظم ،ملما في الان ذاته بفلـذة من اجمل الشعر الوجداني لانها صدرت من اعماق نفس الشاعر بصدق وحدس

الفخر في الغـــزل

لم يكد المتنبي يتحدث بشعر غزلي صرف لانه لـم ينصرف في حياته الى اللهو والمجون كبشار وابي نـواس وابن الرومي . هؤلاءكانوا يمثلون واقع العصر بما فيـه من ازدواجية جعلتهم يرتقون الى ذروة الثقافة في عصرهم وينحدرون الى حضيض الرذائل والموبقات والدنس فـي سلوكهم . اما ابو الطيب فقدابى ان ينحدر الى دركهـم لانه لم يكن شاعرا بل رسولا ، وشعره تعبير عن رسالته . هؤلاء كانوا يمثلون الانسان الذي انفلت من كل قيد وكفر بجميع القيم ، اما ابو الطيب ، فكان يؤمن بالقيم ، وقـد

تولد شعره من صراع القيم في نفسه مع واقع الفساد الذي كان يعايشه مع الحكام والناس . لهذا فهو كان يـــرى فى الحب شيئا من الذل لا تسيغه نفسه التى ما انفكت تعيش فى قلب ملحمة البطولة . وهواذا ما اضطر للاستهلال به فى بعض قصائده المدحية مجاراة لواقع التقليد الشعري، فانه يحوله الى وصف ملحمي يجري العراك فيه بين سهام الجفون وجراح القلوب ، وما الى ذلك من معان بطوليـــة ملحمية ،كانت تأنس بها نفس الشاعر .

فهو يقول :

كم قتيل ، كما قتلت شهيد ... لبياض الطلى وورد الخدود
وعيون المها ولا كعيون ... فتكت بالمتيم المعمود
راميات باسهم ريشها الهدب ... تشق القلوب قبل الجلود
كل شيء من الدماء حرام ... شربه ، ما خلا ابنة العنقود

انت ترى ان الشاعر استهل في البيت الاول بالحديث عن القتل ، ثم انثنى فى البيت فتحدث عن الفتك ، كما انه الم فى البيت الثالث بالسهام والاهداب وشق القلوب والجلود ، حتى انتهى في البيت الرابع الى شرب الدماء ، وما الى ذلك من معان توهمنا ان الشاعر لا يصف عاطفة غزلية بل يصف معركة ، توافق ما في نفسه من ميل للتخاصم والصراع . فاين هذا الغزل الحربي ،من الغزل الذى نشهده في شعر بشار وابي نواس وابن الرومي،اولئك الشعراء الذين كانوا ، بالرغم من تعفرهم فى حماة الرذيلة ، اكثر انسانية من ابي الطيب فى عتوه وعنجهيته الكاذبين فى احيان كثيرة . وهذا النوع من الوصف ، شائع فى غزله ،جميعا. فهو يقول خلال مدحه لبدر بن عمار :

فى الخد ان عزم الخليط رحيلا ... مطر تزيد به الخدود محولا
يا نظرة نفت الرقاد وغادرت ... فى حد قلبي ما حييت فلولا

والبينات على هذه الظاهرة تكثر فى شعره ، مما لا جدوى من الاطالة بذكره .

الفخر الكلاسيكي في شعر ابي الطيب

ان الفخر الكلاسيكي هو ذلك النوع من الفخر الذي لا يعبر فيه الشاعر عن واقع نفسه الخاص ولا يصدر عن يقين واقتناع داخليين ، وانما يستوفي به الشاعر وجوه الفخر ، بعد ان يفيده مما هو شائع فى الفخر العربي . وقد رايننا خلال دراستنا لنماذج سابقة من شعر الفخر العربي، انه يقوم بصورة عامة على وصف القدرة على البطش والفتك بالاعداء ، وبكلمة عامة ، كان ذلك الفخر فخرا فروسيا يعتمد قوة الساعد ، بالاضافة الى بعض الميزات الخلقية النفسية .

ولئن غلبت على فخر المتنبي النزعة الوجدانية ، فاننا نراه فى كثير من قصائده يلم بشيء من الوصف الفروسي الذى يغلب عليه طابع التقليد من ذلك قوله :

مفرشي صهوة الحصان ولكن ... قميصي مسرودة من حديد
لامة ، فاضة اضاة دلاص ... احكمت نسجها يدا داوود
عش عزيزا او مت وانت كريم ... بين طعن القنا وخفق البنود
فرؤوس الرماح اذهب للغيظ ... واشفى لغل صدر الحقود

انت ترى ان الشاعر يفتخر بانه يمتطي ابدا صهوة الفرس ، وان قميصه من حديد وانه يذهب غيظه برؤوس الرماح . وهذه المعاني هي شبيهة بمعاني الحماسة القديمة، وقد كان يطيب للشاعر ان يتغنى بها غناء لا تعقيد فيه ، ولا اضطراب نفسيا وراءه، وهي تصدق فيه ، كما انها قد تصدق فى سواه . لهذا قلنا أنها نوع من الفخر الكلاسيكي الذي يعبر عن تفاخر الانسان بصورة عامة مطلقة من دون ما يتعقد فى نفسه من احوال ومضاعفات خاصة . واذا ما شئنا ان ننعم بتحليل هذه الابيات ، لتحقق لنا ان الغلو يغلب عليها ، اذ لم يعرف عن ابي الطيب انه من الفرسان المغاوير او انه كان يبلي فى الحروب بلاء حسنا . هذه الصورة تصدق فى عنترة اكثر مما تصدق فى ابي الطيب. كما انها قد تصدق فى سيف الدولة وسائر الامراء الفرسان، اكثر مما تصدق في الشاعر او من دونه . وكذلك قوله :

سيصحب النصل مني مثل مضربه ... وينجلي خبري عن صمة الصمم
لا تركن وجوه الخيل ساهمة ... والحرب اقوم من ساق على قدم
والطعن يحرقها والزجر يقلقها ... حتى كأن بها ضربا من اللمم

فالشاعر ، كما ترى يفتخر بانه اشجع الشجعان وانه يترك الخيل ساهمة فوق القتلى، يقلقها الزجر ويحرقها الضرب ، حتى كان بها جنونا . وهذه المعاني سلفت منذ الفخر الجاهلي ، حيث كان الشاعر يعتز بقوة ساعده وشدة صلبه ، وانه يقتل الفرسان ويبقي الخيل ساهمة فوقهم :

او لم يقل عمرو بن كلثوم :

وسيد معشر قد توجوه ... بتاج الملك ، يحمي المحجرينا
تركنا الخيل عاكفة عليه ... مقلدة اعنتها صفونا

وهكذا ، نرى ان ابا الطيب لم يكن دائما يصدر عن وجدانه فى مدحه ، بل طالما استقى من المعاني العامة التى قال عنها الجاحظ انها « مطروحة في الطريق » يتناولها من يشاء من الناس .

وقد يكون من الخير ان نتمثل على هذا النوع من الفخر بهذه الابيات الاخيرة ، اذ قال :

ومرهف سرت بين الجحفلين به ... حتى ضربت ، وموج الموت يلتطم
الخيل والليل والبيداء تعرفني ... والسيف والرمح والقرطاس والقلم
صحبت فى الفلوات الوحش منفردا ... حتى تعجب مني القور والاكم

لا شك ان اباالطيب افاض من حماسه فى هذه المعاني، فبدت كثيرة الوجدانية ، الا انها بالرغم من الحمية التى تدب فيها ، بقيت اقرب الى الفخر التقليدي، الفروسي،

منها الى الفخر الكثير التعقيد الذي يعبر فيه الشاعر عن نفسه .

ومهما يكن ، فان هذا النوع من الفخر يتضاءل بالنسبة للفخر الوجداني فى شعر المتنبي . وهو غالبا من رواسب التقليد ، الذي ينفذ الى الشاعر اللاحق من الشاعر السابق، كما فى شعر ابي نواس الخمري ، وفى وصف ابن الرومي. تلك سنة الحياة ، فالقديم يمتد خلال الجديد ويغذيه ويكاد الجديد لا يستقل عنه ويتحرر منه .

الفخر الوجداني فى شعر ابي الطيب

لئن كان الفخر الكلاسيكي يمثل الناحية السلبية فى نفسية ابي الطيب ، فان الفخر الوجداني يمثل الناحية الايجابية ، البعيدة الغور في نفسيته . وفي هذا النوع من الفخر يخيل الينا أن ابا الطيب يجاري فلسفة ، قلما يحيد عنها ، تتغاير فيها صور التعبير وبعض المعاني ، الا انها تعود فتلتقي ، جميعا حول مبدأ واحد يوجز لنا حقيقة نفس الشاعر . فابو الطيب لا يصدر فى هذا الفخر عن الانفعال الجزئي العارض بل عن تأمل ، وتفور بعيدين يخلص اليهما بعد تنازع وتوتر بينه وبين ذاته . وهو يعني فى هذا المجال بالدهر ، والمصائب التى تخني على الانسان . وقد جعل الشاعر يرى ان هذه المصائب ، هي ملازمة لطبيعة النفس البشرية ، لا يمكن للانسان ان ينجو منها . لهذا ينبغي له ان يحسم موقفه بالنسبة اليها . وقد اتخذ المتنبي فى هذا الامر موقفا يشبه موقف الشاعر الفرنسي الفرد دي فنييي ، معتقدا انه من واجب الانسان ان يعتو على الدهر ، فلا يفجع عندما تحل به المصائب ولا يشعر بها بالرغم من احاطتها من كل جانب ، ولا يتقهقر ويرتد مهما انعمت باذاته والتنكيل به. فالانسان ينبغي ان يمضي فى السبيل الذي رسمه لنفسه، غير مبال بالعراقيل والصعوبات .

ولا نحسبن ان هذه النظرة ، هي وليدة نزوة عارضة ، او نقمة عابرة ، بل انها وليدة نظرة شاملة يقرر بها الشاعر مصير الانسان الدائم ويؤمن ان عليه أن ينتصر على الالم واللذة ، فتبقى حالته واحدة فى جميع الاحوال . واذا امعن الدهر بقهره فعليه ان ينتصر ، حتى على الدهر ، وذلك بعدم الرضوخ ، وعدم التفجع عندما تلم بنا المصائب ناظرين كانها لم تكن . وهذا ما يقترب به غاية الاقتراب الى الرواقيين . فهو يقول :

اين فضلي، اذا قنعت من الدهر بعيش معجل التنكيد

ابدا اقطع البلاد ونجمي فى نحوس ، وهمتي فى سعود

فالشاعر لا يرى لذاته فضلا الا أن ينكل به الدهر ويخيبه ، دون ان يذعن له ويحفل به . وهو يرى ، على العكس ، بان قدر الانسان يسمو بقدر ما يزداد صبره على احتمال المصائب التى يرزئه بها الدهر . لاشك ان ابا الطيب كان ينطوي على كثير من التشاؤم فى هذا القول وبخاصة عندما اعتقد ، ان الدهر لا ينفك يطلع عليه بنجم النحوس ، واذ ما برح يقابل ذلك بهمة الصبر والسعود ، الا انه بالرغم من ذلك ، كان يعبر تعبيرا يقينيا صادقا عما يعانيه فى نفسه من ترفع حتى على الدهر ذاته . وهذا المعنى يتردد ابدا فى شعره :

لا تلق دهرك الا غير مكترث ما دام يصحب فيه روحك البدن

فما يديم سرورا ما سررت به ولا يرد اليك الفائت الحزن

فالشاعر يريد ان يزيل قيمة السرور والحزن ، او بالاحرى يريد ان يساوي بينهما حتى يصبحا حالة واحدة لا تأثير نفسيا ولا دلالة لها . فالانسان بنظر المتنبي ينبغي ان يكون فوق الفرح والحزن ، ويخيل اليه ان الانسان عندما يفرح او يحزن يكون ضعيفا ، وذلك ان الفرح لا يديم السرور والحزن لا يرد الخسارة. فمن الغباء اذن ان ينفعل ويتأثر بالحوادث والبواعث الخارجية .

وفى بعض الاحيان نرى ابا الطيب يرتفع على الدهر ، ويتخطاه فى غلوائه وعتوه ، حتى نراه يطلب المستحيل . فهو يريد ان يبلغ ما ليس يبلغه الدهر من ذاته:

اريد من دهري ذا ان يبلغني ما ليس يبلغه من نفسه الزمن

وقوله ايضا :

اود من الايام ما لا توده واشكو اليها بيننا وهي جنده

ولعل تعاليه على الدهر وتحديه له ورغبته فى الوصول الى ما ليس يبلغه الزمن من نفسه ليس سوى تقمص للشعور بالنبوءة . فليس ثمة انسان يمكنه ان يتخطى نواميس القدر ويفعل ما لا قبل للزمن بفعله الا الانبياء. وهذا ما اشرنا اليه اذ قلنا ان الفخر الوجداني في شعر ابي الطيب هو كثير التعقيد والتقمص ، يتولد من حالات بعيدة التحول فى وجدانه . أن وقوف الشاعر فوق هامة الزمن كان تقمصا لذلك الوجيب الذى ما لبث يخفق فى نفسه ويوهمه بانه اعظم الناس وان فيه شعلة ليست فيهم .

وسرعان ما يعتقد الشاعر انه تخطى الدهر ، مثيرا دهشته واعجابه من شدة احتماله وصبره :

والدهر يعجب من حملي نوائبه وصبر نفسي على احداثه الحطم

او قوله :

تمرست بالافات حتى تركتها تقول امات الموت ، ام ذعر الذعر

ففي البيت الاول نراه يثير الدهر ويدهشه ، وفى البيت الثاني يرتفع بالمعنى الى غلو لا قبل لانسان به فيما عدا المتنبي . فهو لكثرة عتوه وترفعه ، جعل الدهر يعتقد ان الشاعر قد امات الموت ، وجعل الذعر يذعر منه . وهكذا نرى ان المتنبي لا يتخاصم مع الناس ، فهم دونه، جميعا ، يرتفع عن منافستهم ، الى منافسة الدهر ، وما

عتمنا ان رايناه يرتفع متشامخا على هامته . لا شك ان هذه العنجهية تستخفنا لاستحالتها . فهي تدل على شيء من النفاق في الاعتراف بالواقع الذاتي ، الا انها كانت بالنسبة لابي الطيب وليدة التقمص الذاتي ، اذ حقق بالالفاظ ما عجز عن تحقيقه بالافعال .

وهنا يبدو لنا ، ان تفجع ابن الرومي ، ولعنته للحياة وابنائها ، ليس سوى وجه اخر لعنجهية المتنبي وعتوه . لقد شعر كلاهما بالفجيعة ، فبينما ازداد المتنبي بهاشموخا ، انهار ابن الرومي واعلن هزيمته وانسحاقه . وفي يقيني ان انسحاق ابن الرومي بالرغم من دلالته على ضعف النفس البشرية ، هو ابعد انسانية ، واصدق تعبيرا عن حقيقة الوجدان من عنجهية ابي الطيب التي تخفي وراء شموخها، اسارير لا تقل تجهما ، وعبوسا عن اسارير ابن الرومي.

ومهما يكن ، فان ابا الطيب لا يعتم ان يعلل ترفعه وعتوه بقوله :

اطاعن خيلا من فوارسها الدهر — وحيدا، وما قولي كذا ومعي الصبر

فهو ينتصر على الدهر بالصبر والجلد . ولقد ذكر ذلك في ابيات كثيرة نجتزيء منها بالابيات التالية :

قد هون الصبر عني كل نازلة — ولين العزم حد المركب الخشن

او قوله :

فان امرض فما مرض اصطباري — وان احمم فما حم اعتزامي

وكذلك هذا البيت الاخير الذي يذكرنا بالشنفري:

واصدى ، فما ابدي الى الماء حاجة — وللشمس فوق اليعملات لعاب

الكرامة او الموت

ولقد ادى هذا المبدا الذي آمن به المتنبي ، او بالاحرى الذي طبع عليه طبعا راغما الى مظاهر أخرى في سلوكه ، كانت امتدادا او نتيجة لهذا اليقين . فالشاعر يعتقد انه على المرء أن يمثل دور البطولة على مسرح الحياة ، يداب ابدا للحفاظ على كرامته ، واذا لم يقدر له ان يحافظ عليها ، ينبغي ان يموت دونها ، فهو لا يطيق الجبن ، اذ انه يساوي الموت :

ذل من يغبط الجبان بعيش — رب عيش اخف منه الحمام

وكذلك قوله :

عش عزيزا او مت وانت كريم — بين طعن القنا وخفق البنود
فرؤوس الرماح للغيظ — واشفى لغل صدر الحقود

وهو كذلك لا يرى مجدا الا في الحرب واكتساب الانتصارات :

ولا تحسبن المجد زقا وقينة — فما المجد الا السيف والفتكة البكر

وربما تمادى الشاعر في ايثاره لكرامة النفس ، حتى رايناه يتقرب بها للناس من دون صلة الرحم والقرابة الطبيعية. فأخوه ليس الذي تجمعه به ابوة وامومة واحدة، بل ذلك الذي تجمعه به كرامة النفس :

وانف من اخي لابي وامي — اذا ما لم اجده من الكرام

وهكذا ، فان خطيئة الحياة الكبرى ، بالنسبة للشاعر هي الهوان :

غير ان الفتى يلاقي المنايا — كالحات ولا يلاقي الهوانا
واذا لم يكن من الموت بد — فمن العجز ان تموت جبانا

او قوله :

وانا لتلقي الحادثات بانفس — كثير الرزايا عندهن قليل
يهون علينا ان تصاب جسومنا — وتسلم اعراض لنا وعقول

والشاعر يعتقد ان الكرامة ليست في التفاخر بالاجداد، لان الانسان ينبغي ان يكتسب مفاخره ، بنفسه وكفاءته . ولقد كان المتنبي وضيع الاصل ، لا اقبل له بالافادة من ذلك في فخره . ويقيني انه لو كان رفيع النسب لكان اسرف في التبجح به ، كما أسرف بالتبجح بسائر فضائله . لهذا يمكننا ان نشهد في هذه الاقوال نوعا من التعوض النفسي فالمرء اذ يعجز عن تحقيق الفضائل في نفسه ، يحاول ان يحول نقائصه الى فضائل . اليك ما يقول :

ما بقومي شرفت ، هم شرفوا بي — وبنفسي فخرت لا بجدودي

او قوله :

ولست بقانع من كل فضل — بان اعزى الى جد همام

تعاظمه على الناس كافة

الا ان الفخر لا يعتم ان يظهر لديه اشد تعقيدا ، مما بدا في الابيات السابقة ، اذ تزدوج نفسيته ، فتعلو شفتيه بسمة الكبرياء ، وبسمة الهزء من الاخرين ، حتى لا يتورع عن القول:

ان اكن معجبا فعجب عجيب — لم يجد فوق نفسه من مزيد

او قوله :

فما انا منهم بالعيش فيهم — ولكن معدن الذهب الرغام

ويقيني ان هذا الانفراد والتعالي على هامات البشر ليس سوى تعبير غير مباشر عن الخزي الذي كان يشعر به ابو الطيب عندما كان يتعالى عليه اولئك الناس الذين لا فضيلة لهم الا فضيلة الولادة من اصل رفيع او فضيلة المال والسلطة . انه انعكاس لشدة شعوره بالنقص والجفاء والغربة في عصر تكالب على المادة ، من دون القيم الروحية والعقلية التى كان المتنبي يفخر بها. وقد يتحول هذا

الشعور بالكبرياء الى نوع من الهجاء الحاقد الساخر يذكرنا بتشاؤم ابن الرومي ولعنته للحياة وابنائها . وهذا النوع من الفخر يبدو شديد الاسى تظهر فيه الفجيعة التى كان المتنبي يحرص على اتقائها والتستر بها :

ودهر ناسه ناس صغار — وان كانت لهم جثث ضخام

وكذلك قوله :

اذم الى هذا الزمان اهيله — فاعلمهم فدم ، واحزمهم وغد
واكرمهم كلب ، وابصرهم عم — واسهدهم فهد ، واشجعهم قرد

قد يخيل الينا ان هذه الابيات أدل على الهجاء منها على الفخر . الا اننا نعم في تقصيها تظهر لنا وراءها عنجهية المتنبي ، وغيظه من الناس الذين لا يقدرونه حق قدر . انها نقمة النبي الذي نبذته رعيته ، ولم تعترف بسمو قدره ، وصفته الخارقة للطبيعة. وهكذا يبدو لنا ان شعور ابي الطيب بالقوة والتفوق ، كان شبيها بشعور مرضي يلازم صاحبه ، ويخفي وراءه جحيما كالحا من النقمة والرؤى السوداء الكريهة . فوراء عنجهية المتنبي يختبيء غول الاطماع الذي لا يتورع عن المسخ والتدمير والتشويه، كلما طاب له ان ينتقم لذاته المعفرة . لهذا نرى ان حقده اشد ما يتميز على الملوك لان هؤلاء يمثلون الحلم الذى استحال عليه ، ويمثلون وتره لانهم اتخذوا السلطة التي لم يكن يراها حرية باحد من دونه . انهم سالبو نعمته، والمستأثرون بحقه . فلا بدع اذن ان يمسخهم حقده قرودا وأرانب واوثانا تافهة ، حقيقة بالتحطيم:

ارانب غير انهم ملوك — مفتحة عيونهم نيام
باجسام يحل القتل فيها — وما اقرانها الا الطعام

وكذلك قوله :

ولا اعاشر من املاكهم ملكا — الا احق بضرب السيف من وثن

وهو اذ تتعاظم به الحمية ويتسعر في دمه زهو البطولة لا يرى لنفسه غاية الا تضريب اعناق الملوك :

ولا تحسبن المجد زقا وقينة — فما المجد الا السيف والفتكة البكر
وتضريب اعناق الملوك وان ترى — لك الهبوات السود والعسكر المجر

وهو لشدتأثره بالمهدية وايمانه بنفسه ، لا ينفك يتوقع ان تؤاتيه الايام فينفذ الى الامر العظيم الذي كان يتوقعه من نفسه كما كان الناس يتوقعون عودة الامام الذي يصلح من امرالبشر :

واشجع مني كل يوم سلامتي — وما ثبتت الا وفي نفسها امر

ان سلامته التي يتحدث عن امر في نفسها ، ليست في الواقع ، سوى الشاعر نفسه ، الذي ما برح يتوقع حدوث امر من الامور يحقق له حلمه الكبير . أولم يعبر عن هذه الظاهرة ، ايضا في رثائه لجدته اذ قال :

يقولون لي من انت في كل بلدة — وما تبتغي أما ابتغي جل ان يسمى

وهكذا ، نرى ان حلما خارقا ما انفك يضيء في ظلمة نفس المتنبي، ويعلله بالحدث الاعظم . أو لم يعبر عن ذلك ايضا في قوله :

أريد من زمني ذا ان يبلغني — ما ليس يبلغه من نفسه الزمن

لهذا ، فقد لبث الشاعر يتعقب طيلة حياته سرابا لا قرار ولا يقين له :

ولكن قلبا ، بين جنبي ما له — مدى ينتهي بي في مراد احده

هذه الحيرة هي ما ندعوها ، في عصرنا بالحيرة الوجودية ، اذ لا ينفك الانسان يشعر بالنداءات الداخلية ، وتتخطف في نفسه اشراقات غامضة يكاد لا يتوهمها ببعض المطامع الخارجية ويحققها ، ألا ويراها قد تعفت بين يديه ولبث يشعر ان في نفسه خواء، لا تشبعه المطامع والاماني. تلك حيرة الانسان بنفسه ، بوجوده ، وقد شعر بها المتنبي اكثر من سواه ، لان نفسه ما برحت تشعر بالغربة في عصرها المختل المقاييس ، وان مملكتها ليست من هذا العالم .

كان بودلير يعتقد ان الشعر الحق هو الذي يعبر عن الصراع بين الواقع والمثل ، وما يوري في النفس من سويداء او زهو بين تحقيقه وانهزامه. ولقد حقق المتنبي ، في شعره عامة ، وفخره خاصة ، هذه النظرية اذ لا ينفك يصور لنا تنازعه لبقائه واختصاره الوئيد الصامت ومصيره الممزق المكدود في مأتم الوجود . وليس ابو الطيب في عنجهيته وعتوه ، سوى ذلك الانسان المكابر الذى ترسبت الخيبة في قاع نفسه، وقد اراد ان ينكرها ،مخادعانفسه، ومخادعا الناس ، لانه لا يستطيع ان يستسلم ، واذا ما استسلم فسوف تتولاه الرعب من تفاهة الانسان وعقمه وضآلته امام جبروت القدر ولغز الكون الفاغر فم الحيرة منذ الازل .

ايليا الحاوي

صـــلاة الخـريـف

⊙

يا لهذا الخريف والليل ساج ... وندى الليل نافذ بالحنيـــن
الحنين الفياض لا يعرف المرمى ... يضم الحياة ضم الضنيـــن

يا لهذا الخريف والليل ساج ... وندى الليل نافـــذ بالحنيـن
يا لهذا الحزين !... حزن عميق... عمق هذي الحياة يا للحزين
ليس حزن الفجيع بل حزن حب ، بلـغ الشوط من هواه الدفين
حزن هذا القديس يبسط كفـا ، رافع الراس مستضيء الجبين
حزن هذا القديس يرنو الى الله بعين الهـــوى وعين اليقيـــن
حزن هذا السرور فاض به القلب ... تعالى عن راقصات اللحون
غير لحن من الدمـــوع عميق هامس الجرس شاحب التلحيـــن
وأسى يغمر المحيـا كفجر اغبش اللـون قبل نـــور كمـــين

يا لهذا الخريف والليل ساج ... وندى الليل نافذ بالحنــــين
والنسيم الرطيب يسري رفيقـا ... ناعم المس مثل كف حنون
لا تصح للخريف...بل هدىء الصوت...تسمع لاغنيات السكون
رقة تفعم الحياة ... اغـان هامسات كبعض لمـــح العيـــون

يا لهذا الخريف والصبح ناد ... وندى الصبح نافذ بالحنيـــن
الحنين الفياض .. لا يعرف المرمى ... يضم الحياة ضم الضنين

والغمام الرفاف يحبو على الافق ويحنو على الصبـــاح الرطيب
أبيض كالسلام ... كالامل المنشود ، كالحلم ، كابتسام الغيـــوب
كالحنان الوديع ... كالرحمة السمحاء ، كالود في صفى القلوب
كخميل من الزنابق والفل واليـــاسمين غض الطيــــوب
كملاك يهدي السكينـة للارض وينفي عنها شقـــاء اللغـــوب
باسط جنحه الى الشمس يخفي ــ رحمة بالورى ــ أوار اللهيب
فيشف الضياء ريـان ، خجولا ، ندي الخطى ، وديع الشحـوب
فيه ــ ما زال ــ نفحة مـن الدفء ــ وروح من الهوى المشبوب

يا لهذا الخريف والصبح ناد ، وندى الصبح نافـذ بالحنــــين
والنسيم الرطيب يسري رفيقـا ، ناعم المس مثل كف حنـــون
لا تصح للخريف...بل هدىء الصوت...تسمع لاغنيات السكون
رقة تفعم الحياة ... اغان هامسات كبعـض لمـــح العيـــون

القـاهرة — ملك عبد العزيز

الطيور تترنم بصلواتها .. حناجرها الاف الات موسيقية .. اغانيها الحان شجية ... لكن بسمة تعرف الصوت المحبب اليها ، الذي يناديها من قلب شقائق النعمان ، فتهرع الى شجرة الزيتون ، حيث يكون حبيبها خليل يفرس اهاته تحت ظلال موعدهما :

بسمة القلب هل لبت ندائي
واطفأت نار لوعتي بلقاء
ان شاءت ولو كان البحر سدا
لقسمته قسمة موسى بعصاة

اما اليوم فيختلف عن امس ، الصوت تقدم موعده ، انها تعرف السبب ، طوال الليل لم تنم ، ارقها التفكير والامل والتعب .. ان قلبها ينتظر وجلا سحابة سوداء جنينها غيث يغسل الرعدة التي تقبض على اعصابها منذ الصباح ، كلما انقض السهاد على اجفانها ... كانت تخشى ان تنفلت منها اية حركة شرود ... ولم تهرع الى شجرة الزيتون ، بل القت شالها الحريري على عنقها الحار ، واخفت يداه في صدرها ، ورفعت جرتها على كتفها لتذهب الى العين .

سارت في فسحة البيت .. صدرها يخفق بادار غريب ... كادت تتركه ... ولم يطاوعها قلبها دون النظر اليه وتوديعه .. من يعلم قد تتغيب عنه طويلا ولا ترجع اليه ابدا .. انها تحس اصابعه تنفرس في جسمها وتشدها اليه ... كان اخوها حبيب يلعب بحبات القمح ويزرعها بين التراب ... تقدمت منه وقبلته .. لم يرها احد ... استغرب حبيب تصرفها ، فقد تعودا اللعب والمداعبة عند الصباح والمساء .. تعلق بها ... قبلها ... عض وجنتها ... وتملصت منه عندما ماجت عيناها بدمعتين فذهبت بسرعة .. والقرية زهرة اقحوان فتية تميس على ربوة غناء ، ساقها صنوبرة ، اوراقها خضراء ندية ، تهصرها النسمات العذبة باسداء خفية .. والنبع عند طرفها يتفجر كشريان من كتفها .. الطريق يطول كأن الهضبتين الصغيرتين تغمضان جفني العين.. والصفير الناعم المتقطع يحضر نفقا بين التلال

وصلت العين ، وتقدمت من جرتها ، كانت بقرات تشرب وتخور .. أنتظرت دورها بعد ان اسندت جرتها ، كانت بقرات تشرب وتخور .. لا احد يشتبه بها او يدرك ما تفكر به ... وليس هناك غير صبيان قلة يأكلون الرمان ويثرثرون .

قفزت فوق السياج العشبي ،حيث سور القرية ، وانحدرت بسرعة نحو الوادي البعيد ... الاحجار تفر امامها ... الشوك يغوص الى اعماق اقدامها فيفر الدم على



بقلم يوسف مقدسي

الزهرات البرية ، والقطيع الصغير .. لم تتكلم... خافت قليلا ...خففت من سيرها ... واصاغت السمع بكليتها .. وناغاها خليل من وراء دغلة كمينة :

ـ بسمة .. بسمة ... انا هنا تعالي

ركضت اليه ... وعندما حازته سارا من جديد والصدى ينقل خطواتهما ... لم يكونا يفكران الا بنجاح خطتهما ، وقطع أكبر مسافة عن القرية ، قبل ان يفطن اهلها على سر تأخرها ويعرفون الامر ... سوف يشربهم الغضب ، وينشرون خطبهم على اهل الضيعة الذين



سينقسمون على بعضهم ، بين مؤيد وشامت ومدافع وغاضب .. وقد يتجمع الخصوم ويتبعونهما في اكثر من طريق ...

وتقابلا فجاة براعيين من القرية، حياهما خليل الملثم بعباءة بيضاء والمسلح بعصا زعرورية بعزم وانفعال

ـ مرحبا يا شباب

ـ اهلا بالفحل الذي جعل الجبل فلا

ـ اعذرانا يا ...

ـ مع السلامة ... لم نر ولم نسمع شيئا

ـ الشاب زند اخيه ...

وضاعا من نظر الراعيين عندما احتضنهما الوادي ... ففابا فيه .. ولم يعد يسمع الا انين بعض العيدان ، وغزل عصفورين يتناجيان في الظل ...

والوادي كصندر طاووس ... تتشابك اشجاره وتتعانق اوراقه ، فينساب الهواء بصعوبة بين اغصانه، وتتصعد همساته كضباب يتبخر من جدول رقراق معطاء للدموع .

لثمتهما نسيمات خريفية ، فتنشقاها بارتياح ، وذابت نظرتاهما في لقاء ... وتفتحت زهرة عذراءعلى خدودهما ...

كلمها متلعثما :

ـ زال الخطرولا مانع انتستريحي قليلا ...

رنت اليه بدلال مصحوب بعتاب وتأنيب ، وتركت من فمها كلمات مرتجفة ممزوجة بلهاث صدرها :

ـ أستطيع المسير الى المدينة دون كلل ...

هز رأسه موافقا ، واحتضنها بعينيه في فخر واعتزاز ... شعر بالغنى والسرور ... فقد اصبحت كلها ملكا له ...

قال لها عندما وصلا حافة الغدير :

ـ لنغسل ارجلنا فقد مزقهم الشوك ...

لم ترض ..واخذا يتسلقان

ظهر ألجبل المحدودب ، المقابل لقريتهما التي بانت كمجموعة قطرات ندى معلقة على وريقات خضراء ، ينقل الصدى وشوشات الهواء في اذنها بعد ان يعبر الوادي .

كان يسير امامها بخفة فهو يعرف المنطقة جيدا ... ومن حين لاخر يخاطبها :

– قد يسبقونا على الطريق العام كلنا سنمر خلف الجبل ...

– بلى ... بلى ...

– هل تسمعين لفط القرية .. ان اباك يتوعدنا ... ساقتله ... واذبحها

– من يا ترى يكلم ؟ واجابها شامخا

– امي ... أنها تجيبه : نعجتك لحقت كبشي

وتشاركا الضحك في حين تابع خليل

– نحن رضينا بعضنا ...

كان خليل غصنا من شجرة قريته ... طويلا كعود بان .. ريان القلب ... تلوحه شمس الفصول بسمرة محببة ، يملك ارضا صغيرة ، يدفن عضلاته كل موسم فيها ... وينتظر الخصب مع دعاء امه وتباشير الدوري وعصافير الربيع ... ليملأ بيته وجيبه بمكنونات جهده ، ويوفر لاماله بعض وسائل التحقيق ...

لقد اعجبت فتيات القرية بقامته المديدة ، وشجاعته المرتسمة على عضلاته النافرة القوية ... لكنه احب بسمة وثمر صدرها لم ينضج بعد ...

كان يلتقي بها كل يوم اكثر من مرة ... تمر به ساهمة وجلة كغزالة وحشية مع صديقاتها وهن في طريقهن للعين ، كرف حجال يصفقن فرحا وهن يوزعن مرحهن على اغنية تصب السرور في قلب الاراضي الطيبة التي تنتظر بلهفة الخصب .. وهن غير شاعرات بما يعملن .. واذا ما حاولن التمرد بعد تجاهلن الطويل، اصطدمن بالف مرتفع باسق ..

كانت بسمة تزرع نظراتها في جسم خليل المتقد بالحياة مع انطواء الاعوام ... وما ان كبرت اليمامتان في صدرها بعد ربيعين حتى بدا منقاراهما يحاولان الانفلات وجمع الحبوب من نظراته .

كان خليل عند اطلالها يلاقيها باغنية تشرح حاله وتعبر عما يجيش بنفسه ، ويعجب لصمتها ويتساءل :

– ترى الم يدغدغ الحب قلبها .. ولكن كيف لا تعرفه ، اليس قلبه يحادث قلبها ...

تمر قباني كل مرة عابسه
والصبا يفوح رياحين عابقة
هوى طيفها سهام كاوية
قلبي انشوى علهيب نارها
ناديتها ارم رحالك عابره
انتهى زمان الدلع والولدنه

والتقت يده بيدها لاول مرة في الدبكة ... فالافراح يتقاسمها الجميع ... وغالبا ما تموت العداوة بين طرفين أثناء تلاحم اكتافهما ببعضها ... وتتعلق الامال بكومة النار المتأججة وسط مرسح القرية ، وتذوب التقاليد على دقة طبل وشجي مزمار ... فيزداد تشابك الايدي ، وامتزاج الزفرات مع صيحة موال ، وتعاضد القوى في ضربة الاقدام الواحدة على صدر الارض الملتهبة ... وغنى خليل قصة العين واللوعة والحنين ... واسرف في صوغ مشاعره بلحن حزين

غريبة نفسك كيف تجاهلتي
اصل الحب الوفا والاحترام
ما نفع الهجر وترك الوليف
ينخر جسمه دود الرغام

وتعجبت فتيات القرية من تبدل طبعه الباسم ، فكل الشباب يغنون الحب .. ولكن ليس بحسرته ... واذا ما نسج احدهم قصة عذابه المستديم على ربابة ثكلى ، سرت اخباره بين الجميع ... فتقول الناس انه يحب فلانة ، والمسكين يشقى بهواها ... وهي تصده أو ان قلب والدها لا يلين ... لكنهن لم يعرفن من يهفو قلبه اليها ... ولا فتاة همست انه يعشقها ... ولم يصدقن ان الفرح مفتاح قلبه ... والكأس صنبور مشاعره ... وحادثة العين المستديمة وموالاته كلما التقى بهن ، لا تمحى من مخيلاتهن ... لا بد أنه يخص احداهن ، ولا يصرح لها الا عن بعد ... ولكن لماذا وهو القوي الشجاع الذي تحلم به كل فتاة... لا يمكن ان تكذب زفراته ، فالعين الراغبة بشيء تدل عليه دون ان تشعر ... ولم يهتدين الى سبيل نظراته ... وكل فتاة لم تجد وليفا ترتاح اليه وتسكن الى وعوده ترى ما تبغيه في تصرف اي شاب يستلطفها ويمازحها ... او يجافيها ويعاكسها ...

لقد انتشت الجميلات خاصة من فتيات القرية في هذه المناسبة وغيرها فهن يتسلحن بسلاح فتاك يرمي من لم يطرق الحب قلبه بطعنة تدمي لبه ... وقد لا تتجلى تصرفاتهن الا بشكلها البسيط ، فالتكلف يسبب النفور والمزيد من التكهنات ويفضح الزيف ... لكن الرغبة تبدو في اي مظهر حتى ولو كانت في مجموعة الازهار النابتة من فساتينهن ...

وجالت شتى الافكار في صدورهن وانعكست على ارجائهن ... فهذه الافراح تظهر مفاتن العذباوات ، وتفسح المجال امامهن للسهر والرقص ومزاملة من يحببن ولو عن بعد ... وتعلقت نظراتهن على قسمات احبائهن . وماجت خصورهن دلعا وتعطفا ... يمينا ويسارا وقبال النار التي تعكس سيمائهن اللطيفة وتجملها بحمرة لا تعرفها بنات المدينة المزيفات الشكل ...

وخليل عادي ... يوجد كثيرون مثله .. ومع ذلك لا يوحي مظهره بالبأس فقط ... بل تسكنه قوى الاساطير التي تتخيلها فتيات القرى في رؤياهن المحشوة باقاصيص سمعنها من امهاتهن وجداتهن ....

فلان نزع شجرة من جذورها بيديه ... وغيره صرع بغلا بكفيه ... واخر قطع الطريق على ضياع القرية ... والاختلاط متعارف عليه بين الجنسين ، والسوء ميت في قلوب طوال اللسان ... وليس معنى ذلك ان الشرف حصين ، بل يمتدالوصال بين الكثيرين من الرجال والنساء والشباب والفتيات ... ولا تنتشر الاخبار على الملأ فالبراري والاحراج تخفي بجوفها كل الاسرار ... واذا ما اعلنت خطوبة فتاة على شاب ، امتنعت عن الذهاب الى بيته حتى القران ، وفي كثير من الاحيان تموت الكلمات على شفاههما وبماذا يتحدثان ... انا احبك يا رمانة صدري ... يا خلجة قلبي ... فستانك الحلو كحل عيني ... ان شعور الشاب بالامتلاك طمان ذهنه عليها ... فلن تفر من يديه ... الطير بجناحه ... كل الريش بيده ... والامال معروفة ومرسومة .. وممزوجة بالالم والجبل والشجر والثمر والجدب ... فاذا ما تحسن الموسم سنة او اثنتين زفت اليه ... وعاد العمل والعناية بالاطفال والتفكير بالارض والامطار وعطايا الاله ...

والفتاة لا تستطيع المجاهرة بالحب حتى لا تدخل في قائمة العوانس المستديمات ... ومصيرها بيدالعائلة ومع ان سكان القرى يعيشون المحبة والقلق اكثر من اهل المدينة لارتباط حياتهم بالتعاضد والارض ، وتكثيف احلامهم بغيمة ممطرة فان مشيئة الاباء هي الامر المطاع ... يتحكمون بالسلعة ويرجون من ورائها بيدرا معطاء ..

وقرن الزواج بالرهبة والطلاسم وعلامات الاستفهام ... والام تحبس فك اسراره عن ابنتها حتى اسبوع الزفاف فتخلص لها العملية بغموض ... وتشرح لها مهامها باقتضاب .. طاعة زوجها والمهارة في بيته والعناية باطفاله والقناعة بنصيبها ... والفتاة تعلمت الخبز على التنور وقطع الحطب من الجبل وضم الدخان في خيطان القنب ... وهي مؤمنة والله كتب عليها هذا المصير .

وليس معنى ذلك ان فتاة القرية غبية ... وغرابة اطوارها قبل الزواج وبعده نتيجة كبتها المزمن وخوفها من التصريح بذاتها واستقلال شخصيتها ... وشعورها برهبة التقاليد المنحازة التي ولدت معها والايحاء لها بان انسجامها وسعادتها يتجليان في الزواج ...

وتنعقد الصداقة بين البنات منذ الصغر ... يغذيها الفراغ لانعدام المدارس غالبا ... ولاراء الوالدين ... والضياع طوال النهار في البراري والجبال ... مع حبات «الديس» والعلك المأخوذ من الصنوبر «والعرموط» المسروق او في الرعي وصيد العصافير بالدبق والفخوخ البدائية ... ثم نقل ما يسمعن من الاحاديث ... وطرح اسئلة عفوية على بعضهن ... وتجسيم عذاب « سليم » الولهان الذي تتحدث عنه امهاتهن وبنات اخوالهن ... وهمس الوالدين في الليل ... حيث تنام العائلة في غرفة واسعة ومع البهائم ايضا ... وقول الام :

ــ انتظر يا ابا سعيد ... الاولاد لم يغفوا بعد ...

وحنق الاخير ومناداته لابنائه ...

ــ سعيد .. وهيبة ... هل عشيتما الدواب ؟ ... ثم الصمت واللهاث ...

ولاشتراكهن في الحفلات ، وتقليدهن الكبار في الرقص والدبكة ... وسماعهن الاغاني الطافحة بالتعابير الغريبة والمعاني العجيبة .. الجسم الخيزراني ... الفم اللوزي ... الرضاب الشهي ... الصدر الفتاك .. والمرج والبستان ...

على الدقة والضفقه
جسمها يختال كالنصبه
وجهها كجبين الورد
ويدمي قلب العجوزه
شفاها مثل الجمره
وخدودها حب الرمان
ريقها سكر نابات
الجرعى تسكر النشوان
صدرها بدون بلوزه
لؤلؤ وبريقات مرجان
الشمس عملته منزولها
والقمر يلعب ولهان

ولا بد ان مشاعرهن اثيرت ، وانعقدت في رؤوسهن عمليات تحليلية فراقبوا وسطهم بنهم :الديك لا يقبل الدجاجة ولا العجل البقرة ، والحمار يقلب شفته ويقربها من فم رفيقته ، لكنه لا يشرب من ريقها، ويمكن لحافريه تمزيق ظهرها ... وهل صحيح ان سكر النابات يملأ افواههن ؟... لماذا لا يشعرون بطعمه ولذته . وتجريبهن بعد تشجيع احداهن على تذوق لعاب بعضهن وشعورهن بالقرف ...

ــ تف ... تف ... لعابك بصاق.

ثم الضحك على افكار المغنين ... وعلى الشباب الذين ينتظرون الفتيات عند العين ويتوددون اليهن ويعرضون عليهن الجوز وعناقيد العنب من الحورات العالية ... ويتراشقون الماء معهن ... وقد تتسلل يد ابراهيم الى صدر خاتون فتغضب باستحياء وتستاء لجراته ... وتعود لمنزلها ...

وبدورهن تبادلت اياديهن العبث بصدور بعضهن ، ومع انهن لم يشعرن بشيء من السرور الحقيقي فقد اغتظن ضمنيالفقدانهن الانتفاخ الكبير الذي يعلو صدور الشابات .

قالت حسنة :

ــ انهن يخفين الخرق تحت ثيابهن ، وصدقت بعض الصغيرات في حين اجابتها سعدى اكبرهن :

ــ انت غبية ... الا يرضع اخول من ثدي امك ؟

وتابعت اخرى :

ــ انا عندما اغتسلت مع أمي في مغسل العين رايت القطعتين الضخمتين من اللحم تخرجان من صدرها ...

واشارت بيدها . وسألت كوكب :
– لماذا لا ترضع الفتاة الصبيان ؟
وردت سعدى
– لانه ليس عندها اولاد .
واستطردت كوكب
– تقول امي انها تاتي باخوتي من الجبل ونحن نيام ...
وتممت حسنة
– ابي يخبىء اخوتي في بطنها ...
وانفعلت سعدى ...
– والدتك تضحك عليك لانك صغيرة ... انها تخرجهن من معدتها يا غبية
وتساءلت كوكب
– امثل جارتنا منوشه
– نعم
واجابت سعدى ضاحكة
– يشق لها بطنها ... وكادت الحيرة تاكل بهية :
– بالسكين ... حرام ... هل سيفعلن ذلك معنا عندما نكبر ؟
– نعم
– لكن الحيوانات لا يفزرونها
– اف ... انت حمارة لا تفهمين.
وتبتعد البنات عن التشرد عندما يكبرن اذ يبدأ الاهل يحملونهن اعمال المنزل وسطح التين وجمع حبات الزيتون وسطر الدخان ... وحمل الجرار الكبيرة الى النبع ...
ويتغير نمط حياتهن ... ولكنهن يحتفظن بنفس الارهاق والتعب .. ولا يلبسن ثيابهن الجميلة الزاهية بالفراشات وقوارب الصيد ... الا في الاعياد ويوم الراحة .
وما ان تتعدى الفتاة الخامسة عشرة حتى يظهر اهتمام اهلها بتزويجها ، وتتولى المهمة عجائز القرية اللواتي يعيرن الاجيال الجديدة بالطيش وقلة الحياء ... فقد كانت الصبية منهن لا تتزوج قبل الخامسة والعشرين حتى لا تلوك الناس سمعة اهلها السوء وتوصمهم بقلة تجارب ابنتهن على اعمال البيت ... وداعب مرة احد الشباب عجوزا حذقة :
– الم تأسفي يا جدتي على السنين التي قضيتيها في منزل أبيك !..
وصمتت قليلا كأن حياة القوقعة التي تعيشها انكبت امامها بما فيها من مفاهيم وعادات ...
– اتريد الصدق ... كانت الواحدة منا غبية لا تفكر الا بمجيء الليل حتى تتخلص من تعب النهار الطويل ثم تنام ... يقول المثل « عاشر القوم اربعين يوم فتصير مثلهم » وافتعلت كحة مهترءة فيها كل الالام المرة التي تعودت مضغها مع نضج تينات المواسم المتعاقبة واكملت :
– لقدمرت علي اجيال متعددة غريبة ... وبكت بحسرة دون دموع.
وقد تتعصب الكهلات عندما يطلب اليهن المشورة في زواج ما وغالبا يقلن:
– عائلتنا محافظة على اصلها وفرعها ... وسنحجب بركتنا اذا ...
وعرفت بسمة الحب من تكرار التقائها بخليل وتكسر اهداب عينيها عندما تلتقي بعينيه وخوفها وفرحها عندما تحييه ... كانت عندما تتأخر عن الذهاب الى العين تحس باضطراب والقباض طوال يومها ... ولا يعود الهدوء لنفسها الا عندما تراه ... فيطفق قلبها بارتياح وتكلوها حمرة الخجل ... او عندما يناجيها بكسرة ابيات :

صنعت المجد يا حلوة بيدي
وبنيت قصور تقيك العذاب
عشقتك وبعد ما زلت فتية
وما حل قلبك يفتك بالشباب

ولا بد انها تساءلت : هل يحبني خليل ؟ قد تكون غيري ... لا... انه يغني لي وحدي ... واخبرت صديقتها بما عجزت عن حله .
– ايحب الشاب الفتاة دون ان يصارحها بحبه ؟.
– بلى ايتها المحظوظة ...
ولم تخبرها باسمة ... مع ان وشوشات الاشاعة السارية بالقرية وصلتها ...
قال ابوها :
– بسمة نحن لا نحب المزاح عندما يكون الجد امرا واقعا .
زمت شفتيها وسكتت ...
وتركت بعض حيائها وحادثت خليل بلهفة وارتباك ... وتواعدا على لقاءات امينة عذرية ... فكان بستانها افضل مكان ... لا تكشفهما عيون الرقباء ... حيث الليل يتشابك مع الاشجار والصمت يخفي الاحلام وشجرة الزيتون تراقب كل ما يدور .
وتقدم لخطوبتها ولوضع علامة ..
وما طل اهلها بالجواب وصرحوا لاقربائه ان بسمة ما زالت غضة .. عدا انه لوث سمعتها بموالاته واهلها حريصون على شرفهم ... ثم ان ابن عمها احق منه بها ... فالاخير سيسكنها في المدينة .
وراقبوها بشدة بعد ان فشلوا باقناعها ... وضربوها ... وقرروا مصاهرة اول غريب يطرق بابهم ...
وحافظت بسمة على قسمها ...
واسرت ام خليل اليه بحديث قديم :
– انها عداوة قديمة بين عائلتينا ... جدك خطف ...
واتى خليل شجرة الزيتون حيث بسمة تنتظر وحدثها بما صمم .
– هل تثقين بي الى ...
– أنا لك وقلبي بيديك
كانا قد قاربا طرف الجبل عندما خرجا من صدر الطاووس ... وما زال صوت مزمار يشدو بالفرح يترصدهما ... وانعقدت الشمس حبيبات عرق على وجهيهما ولم يتعبا ...
وضع يده على كتفها فتنهدا معا بنشوة .. وقال لها :
– سيتحدث الناس عنا
ردت عليه :
– سيسكتون ... وينسون
– اليست قصتنا جميلة ؟
– لم نذق طعم السعادة بعد يا خليل
– نعم .. لن ننسى ما فاتنا
وضحكا بقوة وهما يتركان الجبل وراءهما ...

اللاذقية يوسف المقدسي

الساحر الاعمى

مهداة الى الشاعر السوداني

محي الدين فارس

محمد ابراهيم ابو سنه

القاهرة

كان الساحر اعمى .. والمرأة عمياء !
وصخور شامخة ، بدلت الشمس مساء ،.
الورد تدحرج ساقاه طويلا ،
وانهمر الافق ضياء ..
ويطل الحقد يلوي ابدان البشر
الصامت في الارجاء !
وبكائك بعد رجوع الافق الشهباء ..
يسترحم ابناء التعساء ..
وصغيرتنا تشكو تسأل عن
اقدار الغرباء ،
وما يبدو مذ جاءت تبحث عن اشلاء ..
فاذا احترقت في الغيم مصائرنا
وانداحت في موجة ماء
يلمع حقد ثوري مجروح الاصداء ..
يحتار فلا يرجو شيئا من خلف لقاء
يتجول ينكسر فلا ترحمه الانواء ..
شرف مجروح للناس ينادي لو بعض عزاء
وتناجيه الضائعة الملتاعة في الليل غناء ..
ويغور اللون وينشر يلهث لو جاءته الحسناء !

لا يلهو مما استاف المقعد لو يبحث عن قطرة ماء!
ضلع ينقل للبشر
مصائرنا يحنث لو سمع نداء ..
حتى ان جاءت قطعان لا
تنس اطياف سوداء
وزهور الصخرة ان غرست
هل تزهر خلف الطالع من اشلاء ،
ما دام الحب نداء مآقي القلب البيضاء ..
والساحر اصقاع الجرحى ودهور رعناء
ما دام الحب يلون بالعشب
ولا يلقى اثام الاعداء ..
اطياف ماتت من ساعتنا
يا دار العاشق من يسأل اين الغرباء !!

شهور السنة في أمثال اللبنانيين

بقلم شفيق طباره

آب

آب في اللغة الكلدانية (الثمر الناضج) وقيل انه سمي كذلك لان الثمار الصيفية تنضج تماما في هذا الشهر فيقولون (في عشرين آب اقطف العنقود ولا تستهاب) اي ان العنب يكمل نضجه فاقضي منه وطرك وهذا مثل قولهم (بعيد الرب بينتلي العنقود حب) وعيد الرب من اعياد الصيف في لبنان ويقع في السادس من هذا الشهر ويقال له ايضا عيد التجلي . ويحتفل النصارى بهذا العيد تذكارا لتجلي السيد المسيح على طور طابور . ومن عادتهم ان يهرعوا من سائر القرى لغابة الارز فيستمعون الى الطقوس الدينية التي تقام في كنيسة الغابة ثم ينتشرون زرافات زرافات تحت ظلال الاشجار وفي الهواء الطلق ياكلون ويشربون هازجين منشدين عملا بالقول المعروف (برية وحرية) ويرقصون الدبكة الرقصة اللبنانية الجميلة حتى الغروب .

وقد درجت العادة ان يحمل المزارعون في بعض القرى شيا من اثمار كرومهم الى كنيسة القرية ليباركها (خوري الضيعة) اي كاهن القرية بعد الصلاة وتوزع على المصلين تبركا بأكلها . وكذلك يقولون (في عيد الرب نقي حب) و (بعيد السيدة صفوا العنب علمايدة) اي على المائدة . ويقع عيد السيدة العذراء في الخامس عشر من هذا الشهر وفيه كما في غيره من المواسم تقيم كل قرية المهرجانات فمنها من يهرع اهلها الى لعب السيف والترس ومنها من يتبارى شعراؤها بالزجل والعتابا حيث تظهر جليا سرعة الخاطر والذكاء اللبناني الفطري . ومنها من يتبارى برفع الاجران الثقيلة او قرع الاجراس قرعا طويلا . ومنها من يتفنن اهلها بتحضير المآكل كالهريسة والحلويات على انواعها وكلها عادات شعبية مليئة بمعالم المرح والبهجة واللهو البريء .

ويقولون (بآب ادخل الكرم ولا تستهاب) ويروى (بآب اقطف العنقود ولا تستهاب) اي ان العنب يتم نضجه في هذا التاريخ فادخل الكرم واقطف ما يعجبك من العنب بلا حرج ولا استئذان . ومن عادة بعض اللبنانيين عندما يمر احدهم بكرم عنب او بستان تين لا يجد حرجا من قطف بعض الاثمار واكلها في طريقه . وقد الف اللبنانيون هذه العادة الى حد اصبحت بحكم الجائز او المباح . فان يعترض صاحب الكرم فرضا على هذا العمل نحا الناس باللائمة ليس على قاطف الثمر ولكن على صاحب الكرم وينعتونه بالبخل ويرون اعتراضه خارجا عن حد اللياقة والمألوف . ولعل هذه العادة تسربت اليهم من عهد موسى النبي ففي شريعة موسى سفر التثنيه اصحاح ٢٤ عدد ٢٥ (ودعا موسى جميع اسرائيل وقال لهم : اسمع يا اسرائيل الفرائض والاحكام : اذا دخلت كرم صاحبك فكل عنبا حسب شهوة نفسك وشبعتك ولكن في وعائك لا تجعل اذا دخلت زرع صاحبك فاقطف سنابل بيدك ولكن منجلا لا ترفع على زرع صاحبك) من اجل هذا لا نزال نرى بعض النواطير في بعض انحاء لبنان لا يعترضون من يتناول عنبا من الكرم شرط ان لا يحمل معه شيئا .

وفي هذا الشهر تنتهي اربعينية الصيف وتبدا الخمسينية فيشتد الحر ويكثر الضباب في الجبال وينضج العنب والتين وغيرهما من الثمار ولا سيما في الجبال المتوسطة ارتفاعا فيقولون (آب اللهاب) و (آب طباخ العنب والتين) ويلاحظ ان الجو في نهاية آب يتغير في بعض السنين ويتلطف الهواء ويميل نحو الخريف . وفي ذلك تقول العامة (متى دخلت الشمس في برج الاسد قل الحر ابتعد والجو فسد) وهذا مثل قولهم (عيد التجلي بقول للصيف ولي) ولى ذهب وعيد التجلي هو عيد الرب ويقع في السادس من آب كما سبق .

وفي هذا الشهر ينتهي الحصاد وتبدا عملية الدراية وهي فصل حب القمح عن التين ويبدا جمع الغلال على البيادر ويدرس القمح بواسطة (المورج) لان هواء آب الهادىء يصلح لهذا العمل فان تلكأ المزارعون عن ذلك دخل ايلول وعرضوا غلالهم الطوارىء الجوية فتتعرقل اعمال الدراية فيندمون وفي ذلك يقولون (اللي ما ذرى في اب شحم قلبه ذاب) ويندر في آب سقوط المطر فيقولون (جدي خبرني عن جد واب كل الشهور بتشتي ما عدا شهر آب)

ايلول

ايلول في اللغة الكلدانية (اولولو) ومعناه الثمر . ففي الثالث والعشرين من هذا الشهر كما لا يخفى يبدا فصل الخريف فتنخفض حرارة الجو ويظهر السحاب في المناطق الساحلية وقد يهطل المطر في بعض السنين ويقولون (ايلول طرفه بالشتا مبلول) وكذلك يقولون (اذا صلبت خربت) اي ان شمس الصيف تميل الى الغروب ويختل صفاء الجو الذي استمر طوال فصل الصيف وتبدا الانواء . وترتفع الحرارة في بعض السنين فيقولون (مالك صيفية الا بعد الصليبية) . اما عيد الصليب فيقع في الرابع عشر من ايلول . ففي ليله يوقد النصارى المشاعل فوق الجبل ذكرى لاسترجاع هرقل الملك الصليب المقدس من يد الفرس . ومنهم من ينسب هذا العيد الى امبراطور روما قسطنطين الكبير (٢٧٤ — ٣٣٧ م) وروى انه رأى في منامه رسم الصليب في السماء وسمع هاتفا يقول له : بهذه

العلامة تحقق النصر فوضع فوق اعلامه اشارة الصليب وهزم خصمه (ماكسينوس) وتنصر مع اتباعه . وزارت هيلانة والدة قسطنطين اورشليم نحو سنة ٣٢٤ م بحثا عن الصليب الذي صلب عليه السيد المسيح وقيل انها عثرت عليه وكان هذا حدثا تاريخيا هاما وشمل الفرح سكان المدينة . ووفاقا لامر الامبراطور قسطنطين دشنت كنيسة القيامة في احتفال فخم في الرابع عشر من ايلول سنة ٣٣٥ وعين هذا اليوم كعيد لهذا الحادث وفي طريق عودة والدة الامبراطور كان السكان يوقدون المشاعل فوق قنن الجبال وظلت هذه العادة متبعة الى يومنا .

ويقولون (على عيد الصليب كل اخضر بسيب)بسيب من ساب اي اهمل ويريدون بهذا القول ان البراري تصبح عارية مهملة واوراق الشجر مصفرة فتتلاشى بهجة الكروم وقد زال اخضرارها وحينئذ يتركها النواطير الذين تولوا القيام على حراستها في الصيف ويعودون الى بيوتهم. ومما يقولون (صلب واعبر وخمس واضهر) وتفسير المثل ان عيد الصليب يؤذن بقدوم الشتاء فاعبر عتبة البيت والزمه . وكلمة خمس يراد بها ريح الخمسين وهي التي تهب عادة في اذار ونيسان مدة الخمسين يوما التي تلي الاعتدال الربيعي ايذانا بحلول فصل الصيف وقد ذكرنا ذلك سابقا . واضهر اي اخرج من البيت لقضاء اعمالك .

وتتنازع اللبنانيين عوامل الاسف على انقضاء فصل الصيف فيقولون (لو كان للصيف ام كانت بتبكي عليه) وهذا مثل قولهم (بساط الصيف وآسع) وذلك لانه لا يعوقهم فيه عائق عن اكتساب رزقهم فيقولون (الصيف ابو الفقير)

وفي هذا الشهر تنتاب الهواجس الفقراء لقرب زوال الصيف وهو زمن اليسر والرخاء فيقولون (بعيق الجدي ولا سوآد العنقود) اي ان شهر شباط الذي يسمع فيه ثغاء الجدي خير من شهر ايلول الذي ينضج فيه العنب وتسود عناقيده ايذانا بحلول الشتاء زمن الزمهرير والامطار وانحباس الناس في بيوتهم .

ومن عادة الفلاح اللبناني ان يدخر في هذا الشهر المؤن لعياله فيقولون (في آيلول حضر المكيول للعدس والحمص والفول) ومثله قولهم (في ايلول تمون لعيالك وخلي الهم عن بالك) و (متى حضر القمح والزيت تسوكرت مونة آلبيت) خلي اي اطرح الهموم ظهريا . وتسوكرت اي تأمنت ومؤونة الفلاح اللبناني للشتاء القورما والكشك والتين اليابس والعرق والنبيذ والزبيب والتين المطبوخ بالسكر والجبن الابيض والزيتون والدبس والمخللات والبرغل والحبوب وغيرها . ولشدة اعتناء الفلاح اللبناني في ادخار مؤونته يقولون (نيال من برغل ودبس وتلى بيته من الحطب المبيس) و (حجار الصيف تنفع للشتا) وان للكشك يوما يجتمع الجيران فيه للفرك اي فت نقيع البرغل باللبن بعد اختماره وتنهمك صاحبة البيت باعداد (المجدرة) وتحضير (المخلوطة) فيما تقوم النسوة على السطوح بعملية الفرك .ويوم القورما يدعى الجيران الى (الدبيح) وهو يوم مشهور في حياة القرويين الذين يستعدون له منذ اوائل الصيف حيث يقتني كل بيت راسا أو راسين من الغنم لاجادة العلف حتى ان البنات يتبارين (بتزقيم) تلقيم المعاليف وتسر الفتاة التي يأتي خروفها اسمن من غيره وارجح وزنا . وفي اليوم الاول يشرب المدعوون العرق والنبيذ ويستمعون الى (آلمنجيرة) وينشدون العتابا ويتناولون المعاليق شيا ونيا ، والكبة النية ويهزجون بالاغاني الشائعة متمنين عودة الموسم . وفي اليوم الثاني ياكلون الفمة وفي الثالث يطبخون الهريسة اي عظام الخروف مع آلقمح المقشور .

وعادة ادخار المؤن في البيوت من العادات القديمة التي درج عليها الاولون حيث نقرا في سورة آل عمران من معجزات عيسى عليه السلام انه كان ينبىء اصحابه وتلامذته بما ياكلون وما يدخرون في بيوتهم. ففي القرآن الكريم (وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين)

تشرين اول ــ تشرين ثاني

تشرين من (تشرينو) الكلدانية ومعناها (الابتداء)وقد سمي تشرين الاول بها لانه كان مبدا التقويم السنوي عند الاقدمين وقيل لانه بداءة الشتاء . وفي تشرين الاول تبرد حرارة الصيف ويدخل آلخريف برطوبته وهوائه ويكثر الضباب في الجبال وتخف الحرارة في السواحل ويتقلص ظل الصيف وتعتدل الحرارة وتبرد الليالي ويقولون (برد تشارين بهر المصارين) ولذلك ينصحون بالانتباه والتوقي ويقولون (برد تشارين توقاه وبرد الربيع تلقاه) و (برد تشارين احد من السكين)

ويقولون (آلله بيبعت البرد على قدر الكسوة) يعني ان الله يقسم الارزاق على قدر الحاجة . وفي تشرين ثاني يستمر المزارع في المناطق الجبلية على قطف اعنابه المتاخرة وكذلك التين فيقولون (في اخر تشرين ودع العنب والتين) وفيه يطيب الماء لمايمازجه من برودة فيقولون (اللي ما شبع من آلعنب والتين بيشبع من ماء تشارين) وهذا مثل قولهم (اللي ما ارتدى من حليب امه بيرتوي من ماء تشارين) .

وتختلف الاحوال الجوية في تشرين الثاني وفقا للاعوام والمناطق وترتفع الحرارة في بعض السنين حتى يخيل للناس انهم في صيف جديد فيقولون (بين تشرين الاول وتشرين الثاني صيف ثاني) ويضربون المثل في قمرةتشرين لنقاوتها ومن امثالهم (لا انقى من قمرة تشرين ولا اعتم من غيمة كوانين) .

وفي هذين الشهرين يبتدىء المزارع بحراثة ارضه

زوجة

وقالت بعد ان اغضت حياء .. انني زوجه
وحبك بحر آهات .. انا بخضمه .. موجه
وطيف الشاطىء المجهول قد اغرى بي اللجه
فدعني في ظلام الحس بالالام .. مرتجه
صحيح انني انثى .. وان الحب لي بهجه
واني مهجة حيرى .. وانك هذه المهجه
ولكني انا نفسي .. على نفسي انا .. حجه
فعد بالزورق الظامي ودعني .. انني زوجه

القاهرة — محمود الماحي

وتقليم كرمه فيقولون (شحالة التين في تشارين) والشحالة اي رفع الورق اليابس منها وحفظه للماشية . وفي اوائل تشرين الثاني يقصر النهار ويبدأ موسم قطف الزيتون واستقطار الزيت فيقولون (في نهارات الزيت اصبحت امسيت)وهذا مثل قولهم (بنهار الزيت بالكاد الشاطرة تطبخ وتكنس البيت) وفي موسم قطف الزيتون يخرج القرويون نساء ورجالا مع اولادهم للحقول والكروم ويجمعون ما سقط من الزيتون وزراعة الزيتون تفوق في وقتنا الحاضر اي نوع اخر من الزراعة في لبنان ويأكل اللبنانيون الزيتون اسود واخضر مسبحا اي معقما بالماء المملح ومرصوصا ويستخرج منه الزيت الحلو الطيب المعروف بزيت الزيتون ومقطوعيته كبيرة ويستخدم بعض انواعه وما يستخرج من بزر الزيتون (الجفت) في صناعة الصابون ويصدر بعض الفائض عن الحاجة الى الاقطار المختلفة . وزراعة الزيتون قديمة في لبنان لان تربته صالحة له . ويذكر التاريخ ان منذ عصر الفينيقيين كان الزيت كالخمر يقدم كجزية لملوك مصر . ويوجد في لبنان مزارع او صحاري من الزيتون فسيحة عامرة ومن اهمها صحراء الشويفات والمختارة وعماطور والكورة وزغرتا .

وفي تشرين الثاني ينتهي موسما العنب والتين في المناطق الجبلية فيقولون (في اخر تشرين ودع العنب والتين) وكذلك ينتهي موسم قطاف الكرمة ويقولون (كلما حلت الثمرة طابت الخمرة) اي ان العنب الناضج اصلح من غيره لصنع الخمر . ومحصول كرمة العنب يستعمل للاكل والاستهلاك المحلي ولصنع الزبيب والدبس والعرق . واحسن الاراضي لزرع الكرمة والحصول على عنب جيد هي الاراضي المسطحة والاكام المعرضة للشمس او السهول التي ينضب ماؤها شأن كثير من اراضي لبنان ومن اصناف العنب الابيض والاسود كالزيبي والمقساسي والقرقاشي والقاصوفي والبحمدوني وبيض الحمام . وفي موسم قطاف العنب كان اللبنانيون القدماء يجعلون من هذه المناسبة وقتا للهو فينشطون لممارسة الرقص وتعاطي الشراب وسماع الغناء والعزف . اما النساء والفتيات فكن يضعن عناقيد العنب في اردانهن ويحملنها الى المعصرة على نور المشاعل وتنطلق الاغاني في ترتيل وتنغيم ويمتد الرقص والطرب حتى مطلع الفجر .

وذكر المؤرخ اليوناني هيرودوت عندما زار لبنان في القرن الخامس قبل الميلاد انه شاهد في معاصره الصبايا الحسان يرتدين فروات الاسود ويهرسن العنب بارجلهن ويرقص رقصات ايقاعية على القيثارة وينشدن الاناشيد الحلوة تعظيما لباخوس اله الخمر . وخمر لبنان مشهور من قديم الزمان . فكان الفينيقيون يتاجرون به ويقدمون منه الجزية . ولجودته ذكر ايضا في الكتاب المقدس . واشتهرت الخمور اللبنانية في القرون الوسطى كما ان الناس في عصرنا يتحدثون عن جودتها وهي لا تقل قدرا عن الخمور الاجنبية الفاخرة الغالية .

أما التين فكثير في لبنان وهو لذيذ الطعم ومن انواعه : البياضي والبقراتي والعسلاني والعبيدي والجمالي والعمشيتي والصيداني والحلواني والصيفي والشتوي ويزرع التين الاسود في الجرد واللبنانيون يكثرون من أكل التين رطبا ومجففا . والمجفف انواع الشريحة والقرص والدحروب والمتمر والمقشوز ويؤكل مطبوخا بالدبس او بالسكر ويصدر المجفف الى بعض الاقطار . والتين اليابس يفرز مادة سكرية تتحول عصارته الى مواد سكرية حلوة كالعسل . والطريقة المتبعة لتجفيف التين ما زالت بدائية للغاية .

ويقولون (بيضة تشرين بعشرين وبيضة كانون بمليون) يعني ان البيض يندر في كانون وترتفع اسعاره وترخص في تشرين لكثرته ذلك لان في كانون تبتديء الدجاجة بتغيير ريشها وتنقطع عن البيض أو لا تبيض الا قليلا جدا . ومن عادة القرويين تربية الدجاج على ابسط القواعد القديمة ويتولى تربيتها القرويات ويقتصرن على تغذيتها ببقايا الغربلة فتسرح الطيور لتقتات بالحشائش الخضراء والديدان التي تلتقطها من الارض في فصلي الربيع والصيف ويقل في الشتاء بيضها ولا تعرف مربية الدجاج سبب هذه القلة الا البرد .

بيد ان بعض اللبنانيين اقدموا في السنوات الاخيرة على تربية الدجاج المجلوبة انواعه من الخارج على الطرق الحديثة فاعدوا له مزارع خاصة واستعملوا لتفقيس البيض آلات حديثة فكثر انتاج الدجاج والبيض في مختلف فصول السنة واصبح ذلك من المشاريع التي تدر على اصحابها الارباح الوافرة وتضمن للناس ما يحتاجون اليه من البيض والدجاج .

شفيق طباره

نجـوم لا تغيـب

حكمت العتيلي

الاردن ـ معان

الارض في لبنان لا تموت
وصدرها يدق بالحياة .. لا خفوت
تلالها .. بيادر تـدر
نسائما عليلة ، مياهها انسكاب خمر
جبالهـا ، تطاول النجوم
تغـازل السماء
وفي دروبها .. ترشرش الضياء
على الورود ، من دلائها ، ملائك النعيم !..

.. الارض في لبنان لا تموت
ولا تكل .. دائما تضج .. مهرجان
به تزركش الربوع بافتتان
اصابع خفية .. دقيقة ، كعنكبوت
يطرز البيوت من خيوطه ، ويبدع البيوت !
.. وفي سماء ارضنا الجميلة العليه
تسمر النجوم في الدجى ، ركائز خفيه
ففي السماء ، ها هنا ، النجوم لا تغيب
والبـدر دائمـا مطـل
يداعب التلال ، يغرس الامل
بقلبهـا .. يجوب
وطـول ليلـه يجوب
يزركش الجبـل ..
وارزه ،، شعابـه ، وينثر الجمال
اشعـة .. عقود لآل
.. لا يعرف الكـلال
ولا يمـل
ولا يغيب ..
ولا يحن للغروب !..

جميلة جميلة ربوع هذه البلاد
تدفق الحياة في اللاحي ، في الجماد
تضم في رحابها الحيـاة
وتـدثر المـوات
ولا تمـوت .. لـن تمـوت
الارض في لبنان لن تموت

المنحى العمراني في فلسفة ابن خلدون

بقلم فوزي خليل عطـــوي

ان الاحاطة بكل ما اعطى ابن خلدون امر مستصعب، ذلك ان فيلسوفنا لم يقتصر على بحث معين، ولا اتبع مخططا واحدا، بل على العكس، كان الاستطراد في البحث، والاستغراق في الاستنتاج، وفي فلسفة الظواهر، دابه في كل ما اعطى.

ولئن كان لنا، في هذا المقام، ان نتحدث عن المنحى العمراني في فلسفة ابن خلدون، وعما يتميز به هذا العمران، والنهاية التي يؤول اليها بعد ان يتطور، فمن الطبيعي ان نعتمد التعليلات التي اوردها ابن خلدون في هذا الصدر، وحسبنا من ذلك ان تكون دراستنا هذه موضوعية، قدر الامكان.

والحديث على المنحى العمراني الحضري يستلزم، ضرورة، حديثا على اصالة المجتمع قبل ان يتطور: كيف كان؟ وكيف انتقل من حال الى حال؟ وكيف صار حضريا متميزا؟ وكيف ستكون نهايته، بعد ان يتطور؟

ان ابن خلدون، في كتابيه: « رحلة ابن خلدون الى الشرق والغرب » و « كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر »، يعرض لهذه النواحي عرضا مسهبا مستفيضا، فلا يترك مجالا للتساؤل، ولا موضعا للاستفسار. وبما ان كتابه الاول « رحلة ابن خلدون الى الشرق والغرب » هو في اكثره عبارة عن يوميات روى فيها ابن خلدون حكاية حاله، ومارافق حياته من تنقل وتشرد وفتن ودسائس، فان من الافضل اعتماد كتابه الثاني اي «كتاب العبر»، وبالتحديد مقدمته التي كانت منطلق شهرة ابن خلدون، والتي جعلته في طليعة علماء الاجتماع الذين قدموا لتاريخ الحضارة فلسفة اجتماعية مرموقة.

ليس من شك في ان علم التاريخ الذي جعله ابن خلدون فنا قائما بذاته، مستقلا عما عداه من العلوم التي عرفها الفلاسفة والعلماء، حتى عصره، ليس من شك في ان هذا العلم هو الاساس الذي ارتكز عليه ابن خلدون في المضي الى موضوع العمران الحضري ومميزاته وتطوره ونهايته، ولو لم يفهم ابن خلدون التاريخ الا على انه الاطلاع على « اخبار الايام والدول » دون النظر والاستنتاج والاستعبار بالوحدة المستمرة الناشئة عنه، والتي كثيرا ما تعيد نفسها، لكان السؤال عن النهاية التي يؤول اليها العمران، بعد تطوره، قبيلا من التعجيز.

لقد جعل ابن خلدون للعمران علما، وقسم هذا العلم الى اربعة اقسام هي: فلسفة الاجتماع، وسياسة الدولة والاقتصاد السياسي والتربية والتعليم.

نحن، وان كنا نعرف ان العلاقة المباشرة بين المنحى العمراني الذي هو موضوع بحثنا وبين ما علمه ابن خلدون تكاد تنحصر في فلسفة الاجتماع، فاننا نعترف بان عدم التطرف الى الاقسام الثلاثة الباقية لا يجوز، لان العمران الحضري بدونها لا يكون، او على الاصح، لا يكون بدون الاصول والمبادىء التي نستخلصها، من ابن خلدون، منها جميعا.

نظر ابن خلدون الى ماحوله، فراى الناس مجتمعين، متعاونين. وعاد بخياله الى ما قبل ان يجتمع الناس، فوجد الفرد، انسانا كان ام حيوانا، عاجزا عن تحقيق حاجاته وحده. وميز بين اجتماع الانسان، واجتماع الحيوان، فرأى الاول يكون بالغريزة والتفاهم، ورأى الثاني يحدث بالغريزة وحسب. ولقد سبق لافلاطون ان قال بعكس هذه النظرية، اذ اقر التفاهم سبيلا للاكتمال، لا اساسا للاجتماع، بينما اخذ بنظرية ابن خلدون مونتسكيو الفرنسي، وميكافلي الايطالي، فيمابعد.

وفي البدء، كان الاجتماع محصورا في نطاقات ضيقة. ولقد نشأت، بالرغم من هذا، مشكلات ينبغي ان تحل، ومن هنا كانت ضرورة الرئيس الوازع الذي يفصل في الخلافات، والذي يستطيع ان يفرض الحكم بعصبيته، حتى ولو «لم يكن عربيا قرشيا».

ومجتمع بدائي كهذا، هو مجتمع قبلي بدوي. هكذا بدا الاجتماع، تنقلا جماعيا من واحة الى واحة، ومن مضرب الى مضرب، وبحثا عن اسباب المعيشة، ضمانا لبقاء الحياة.

وضمان البقاء، والحصول على اسباب المعيشة لا يكون الا بالتفاف الجميع حول رئيسهم، وحول بعضهم بعضا، بعصبية قوية قادرة تدعو الى العمل يدا واحدة، والى نصرة الاخ ظالما ام مظلوما. فاذا ما تكاثر افراد القبيلة، وصارت الحاجة الى المعيشة اكثر، راحوا يفتشون عن وسائل اخرى للحياة، ويسعون الى الغزو والفتح، حاملين في طريقهم أموال المغلوبين ونساءهم، وكثيرا ما استعبدوا المغلوب، لان الحق في مجتمع هذا حاله، للاقوى دائما.

وتزداد القبيلة وتنمو، فتصير الحاجة الى منازل دائمة يأوي اليها ابناؤها، فيغزون ويفتحون الامصار، ويستغلون الاراضي، ويعمرون الديار، بادئين هكذا حياة حضرية، ستتطور، وستكتمل، فيصير شيخ القبيلة اميرا، ثم ملكا، فيما بعد، ان استطاع فكيف تبدأ هذه الحياة، في العمران الحضري، وبماذا تتميز، والى اى حال ستؤول؟!

ـ بانتهاء التنقل، وبالاستقرار على حال معين، تبدأ حياة العمران الحضرى. والاستقرار يسمح للافراد بان ينعموا بثمرات الفتح، وبان يفيدوا، مما لديهم، من وجوه الكسب والمعاش. فيعمد بعضهم الى الزراعة، ويقطنون السهول في اكثر الاحيان، لان الجبال وعرة

المسالك ، ومحتاجة الى الماء لري المزروعات، ويحسنون الانتاج بالاعتناء بالاراضي ، وكثيرا ما اتخذوا مدنهم بالقرب من تلك الاراضي الصالحة ، وحصنوها ، استعدادا لرد هجمات دخيل ، او اطماع معتد .

والانتاج الزراعي ، ضرورة ، يحتم عليهم ان يبيعوا ما يفيض عنهم ، وان يشتروا من غيرهم ما هم بحاجة اليه . وهكذا يلاحظ ابن خلدون ان لا بد من نشوء التجارة مع الداخل ،في البدء فاذا اتسع نطاقها شملت الخارج ايضا وصار على الدولة ان تحمي الانتاج، وان تمنع الاحتكار ، وان لا تلجا كثيرا الى فرض الضرائب ، كما ان على الدولة ان لا تعمدهي الى التجارة لانها بذلك لا تدفع الضرائب ، فترخص بضائع ، وتكسد بالتالي بضائع الافراد .

وينتقل ابن خلدون الى النقد ، فيرى ان التجارة في العمران الحضري ، اذا كانت في البدء تعتمد على تبادل البضائع ، فان تداول النقد ، عوضا عن المقايضة العينية ، دليل على تطور العمران الحضري وتكامله . ومن هنا ايضا واجب الدولة في حماية النقد ، وفي حفظه من الزيف والتزوير . وابن خلدون ،في هذا المجال ، يفضل النقد الذهبي والفضي ، على النقد الورقي لان الذهب والفضة ، بحد ذاتهما ، ثروة طبيعيةذات قيمة حقيقية .

وينتقل ابن خلدون ،في « مقدمته » الى مميزات اخرى تطبع العمران الحضري بطابعها ، فالصناعة ، وقد توافرت اسباب الزراعة والاتجار والانتاج ، ضرورية لان كلا من الافرادبحاجة الى الثياب ، والى مختلف انواع الاقمشة ، ثم هو بحاجة الى السلاح ، وهذا داخل في اطار الصناعة ، وبحاجة الى الالاتلحرث الارض ، وبحاجة الى الموازين والمكاييل وغير ذلك مما فصله ابن خلدون ، واظهرضرورته في كل عمران حضري .

وفي طور الحضارة ايضا يصبح التعليم والتربية ضرورتين حياتيتين واجتماعيتين ، ذلك ان المجتمع البدائي الذي لم يكن يسمح للافراد بان يفكروا باكثر من رعاية الماشية ، والفروسية ، والاغارة ، والغزو ،والفتح ، قد تطور وآل الى حال من الحضارة والاستقرار ، صار العلم فيهما ميزة ، بل اساسالتركيزهما والحفاظ عليهما .

والعلم مركوز في النفس الانسانية . فالمرء بطبيعته ميال الى العلم لتكتمل معرفته . ثم الم يذهب بعض الفلاسفة الى ان خلود النفس وسعادتها في اكتمال معرفتها في هذا العالم ؟ والانسان ذاته ،الا يحب ان يسعد ؟!

لقد عرف ابن خلدون كل هذا ، وفصل بين العلم الثقلي الذي يؤخذ عن السلف كأصول الفقه ، وعلوم التفسير ، والقراءات ، والحديث ، والفقه ، والكلام والاصول ، والتصوف وتعبير الرؤيا .

اضف الى هذا علم النحو والبيان والادب والعروض ، وبين العلم العقلي كالعلم الطبيعي والمنطق والموسيقى والهيئة اي الفلك ، والهندسة ، والحساب ، والعلم الالهي ، وهذه كلها يعتمد الانسان فيها على اجتهاد العقل واستنباطه .

ثم اوضح ابن خلدون كثيرا من المسائل التربويةالمعقدة التي ما تزال الى هذه الايام مثالا يحتذى ، فتبين ان التعليم يجب ان يراعى فيه عقل الولد ، وامكانيته ، وان يكون ذلك على دفعات ،وملمحاالى «الاختصاص العلمي » قبل الجميع ، وهذا ، لعمري ، دليل على ان ابن خلدون ، وان كان يحيافي مجتمع يتارجح بين البداوة والحضارة ،الى حد ما ، فقد عاش لمجتمع اراده عمرانيا ، حضاريا ، متطورا .

بعد هذا كله ، يخلص ابن خلدون الى شرح الاسباب التي تسير بالعمران الحضري الى نهايته ، فيضعف ، وينحل ، وينعدم . وفي طليعةهذه الاسباب انصراف الحكام في مرحلة الحضارة ، الى جني ثمار الفتح ، والانغماس في الترف والملذات ، والاسراف في مظاهر الغنى والترف ، فتضعف خزينة الدولة ، ويرى الحاكمون انفسهم مضطرين لفرض الضرائب ، ومتى ازدادت الضرائب ازداد تذمر الشعب ، وقلت بالتالي حيويته . والترف يسبب ارتفاع اثمان الكماليات ، بينما الضروريات ترخص ، فينطبق عليها قانون العرض والطلب .

ويمضي ابن خلدون مفصلا ، معللا الاسباب التي تؤدي الى ضعف العمران الحضرى ، فيورد قانون الغالب والمغلوب ، وما بينهما من التشابه والتباين ، فيرى ان المغلوب المقهور على ارادته ،يتشبه دائما بالغالب الاقوى ، بينما يبدا الغالب بالتخلي شيئا فشيئا عن عصبيته ، ويتشبه بالمغلوب ، وبما كان عنده من وجوه الحضارة والترف ، فتنحط اخلاق الغالب ، ويستمر المغلوب في اكتساب ميزات الغالب ، حتى اذا فقد الغالب عصبيته زال العمران الحضري الذى كان قد اقامه ، في دولة ، على انقاض عمران المغلوب ، فتسيطر عليه عصبية جديدة، او تنبعث عصبية المغلوب من جديد ، فيقوى ويسيطر .

هكذا نظر ابن خلدون الى العمران الحضري ، ناهيك عما اورده من المميزات والتعليلات الباقية في هذا السبيل، مما يصعب الاحاطة به جميعا .

رأينا اذن ان ابن خلدون انتقل بالمجتمع من البداوة ، والفتح ، والغزو، الى الحضارة ،ثم الى الضعف ، واخيرا الى الاضمحلال . وهذا ليس بالامر الغريب لان المجتمع في راي ابن خلدون ، « كائن حي » يتعرض لما يتعرض له الانسان من طفولة وشباب وشيخوخة وهرم . ليس هذا فحسب ، بل يقرر ابن خلدون ان لكل عمران حضري جديد ، يتمثل في قبيلة او مملكة او خلافة ، عمرا لايتعدى اربعة اجيال ،اي ما يقارب مئة وعشرين سنة . ففي الجيل الاول يكون الحاكم هوالشاهد لقيام ملكه ، وفي الثاني يكون كمثل السامع بالشيء ، واما في الثالث ، فيعمد الحاكم الى التنعم بما لم يجن بنفسه ، حتى اذا جاء دور الرابع

الكناري الصغير

ماتت امه، وتركته في العش وحده..
يرتجف من البرد ، ولا يجد من يلقمه
الغذاء في منقاره الصغير ...
يرفرف بجناحيه اللذين خط عليهما
الزغب الاصفر خطوطا واضحة
كأنها احرف خطها الشقاء ..
باشكال معوجة عرجاء ...
يفتح منقاره ويصيح ، ولكنه
يبقى بلا جواب .. فلا من مجيب
ولا من قلب رحوم يعطف على
وحدته ويتمه ...
واخذته بين يدي ، وقلبي
يرتجف شفقة ورحمة ،
وحاولت ان اطعمه ، وان اسقيه ،
وان انوب مناب امه ...
اطعمته وسقيته ، وبالقطن لففته ،
لاعوض دفء ريش امه
التي كانت تضمه بين جناحيها
لتمنع عنه وخزات البرد المؤلم ..
عاش ساعات قصيرة ،
ثم اخذت الحياة تتسرب شيئا فشيئا
من صدره.. وصار يتنفس بصعوبة،
ووقفت حائرة مضطربة ، لا اعرف
كيف اعمل ، ولا ماذا اصنع ...

حاولت فضاعت محاولاتي سدى
وجاهدت ، فذهبت جهودي عبثا ،
واضطررت ان اشاهد وقلبي
يملؤه الاسى ... خفقات جناحيه
الضعيفة ، ونزاعه الاخير ...
وهبطت دمعة على خدي ...

فلقد عجزت انا الانسانة الكبيرة،
ان احل محل العصفورة الصغيرة
التي كانت امه ...

تونس — **ناجية ثامر**

كان العمران الحضري قد آل الى الضعف ، فالانحلال .

ونحن لا نستطيع ان نفتش عند ابن خلدون عن انواع اخرى من العمران ، غير القبيلة او المملكة او الخلافة ، لان فيلسوفنا لم يعتمد الا على تاريخ العرب والبربر ، ولم يتعرض للنظام الجمهوري ، مثلا ، عند افلاطون ، بل انه استنتج اكثر ما استنتج من تاريخ الدولة الاسلامية التي انتقلت من البداوة الى الحضارة ، فالى الضعف والانحلال اذ سيطر الفرس والاعاجم عليها .

وعلى كل حال فان ابن خلدون اذ نحا في فلسفة هذا المنحى العمراني الجديد استطاع ان يعطينا فكرة عامة عن العمران الحضري في كل مكان ، فكان بذلك فيلسوفا مجددا تمكن من الربط بين الحوادث ومسبباتها بطريقة منطقية فكرية تحليلية رائعة ، واستنتج من تلك الحوادث كثيرا من العبر . وهكذا ميز ، وعلل ، واستنتج ، وكان بحق رائد الفلسفة الاجتماعية في تاريخ الفكر العربي وتعدى اثره بلاد العرب والبربر الى اوروبة وسواها ،فكان له الفضل على الكثيرين من علماء الاجتماع ، وظل يتبوأ القمة في علم الاجتماع عصورا طوالا .

فوزي خليل عطوي



الروح الخالدة

تاليف علي نصوح الطاهر – ١٤٢ صفحة – حجم كبير – مطبعة الجيش العربي الاردني

الاستاذ علي نصوح الطاهر هو وكيل وزارة الزراعة الاردنية . وهو عالم اديب له مؤلفات علمية ودينية وفلسفية ، اشهرها « شجـــرة الزيتون » وهو انسيكلوبيدي الحجم ، و « اوائل السور » فيالقرآن الكريم ، وهذا الكتاب « الروح الخالدة » الذي يقدمه لقـراء الاديب المحامي الاستاذ محمد اديب العامري وكيل وزارة المعارف الاردنيـــة سابقا وصاحب المؤلفات الادبية والعلمية العديدة .

⊙

لقد زدت نفسي كثيرا عن البحث في هذا الكتاب الجديـــــد ، « الروح الخالدة » ، للاستاذ الصديق علي نصوح الطاهر . فالخوض في موضوع «الروح» و «النفس» وما الى ذلك من المواضيع الصعبة الوعرة ، لا يخلو من حرج ولا يقف عند حد من المناقشة او الجدال .

ولا يصح مع ذلك ان يمر هذا الكتاب القيم الرصين دون بحـث او تعليق ، فهو جدير بذلك ولا ريب ، والقراء الكرام عامة اصحـاب حق في ان لا يمر كتاب كهذا دون ذكر له او تعليق عليه . اما القراء المختصون فيظلون على كل حال متعطشين الى مثل هذا البحث الذي يندر عنه الكلام في هذه الايام – ايام «المادة» التي تحرج المؤلـــف الفاضل ايما احراج !

وليس كتاب الاستاذ الطاهر « نظرات في القصيدة العينية للحكيم الفيلسوف الرئيس ان سينا » وحسب ، ولكن الكتاب يقدم لنــــا رأيـا خاصا للمؤلف نفسه .

وهو يبدأ الكتاب باهداء (الى الطيف الذي أرقني سره) . وهي قصيدة من الشعر المنثور الذي تغلب عليه الروح العلمية . ثم يعقب على ذلك بمقدمة يشرح فيها الظروف التي ادت الى كتابة الكتـاب ، اذ طالع ليلة كتاب (شرح عينية ابن سينا) للشوشتري فتاقت نفسه الى تشطير العينية . ومن هذه المقدمة يشرف القارىء على اوائـــل راي المؤلف في الروح . ثم يورد نص (عينية ابن سينا الشهيرة في النفس) ، ويعقب على ذلك بفصل في شرح هذه العينية ، فيتناولها بيتا بيتــا ويشرحها كما هي دون ان يبدي رأيه الخاص في الموضوع. وبعد هذا يأتي فصل بعنوان (نظرات في عينية ابن سينا) ، فيورد هنا اقوال الفلاسفة المختلفين في النفس ، وبخاصة المسلمين منهم . وفيه يرى القارىء تقديما واضحا جميلا لبعض ابيات السينية مـرة اخرى . ثم يتبع ذلك الفصل الرئيسي في الكتاب بعنوان (رأينا في مذهب ابن سينا في النفس) ، وفيه يقدم المؤلف رأيه تعليقا عـــلى رأي ابن سينا والفلاسفة الاخرين . ثم يعود في فصل قصير تــال (عودة الى ابن سينا) ، وينهي الكتا بـبقصيدة له في الرد عـــلى عينية ابن سينا ، وهي قصيدة من نفس الوزن والقافية ، قويـــة التركيب حسنة السبك علمية المنهج ، يأتي فيها المؤلف على رأيـه الذي نكون قد عرفناه الان . ثـــم يثبت قصيدة المغفور له احمد شوقي في معارضته السينية . وفي الختام قصيدة الكـــاتب الشاعر الاستاذ عادل الغضبان .

فكتاب « الروح الخالدة » اذن يشرح لنا نظرية ابن سينا في (الروح) ونظريةالاستاذ علي نصوح الطاهر في هذا الموضوع .

فما هذان الرأيـان ؟

من الضروري اولا ان نحدد موضوع البحث وبعض مصطلحاته .

ان موضوع البحث هو الروح التي تغلب لها في اذهاننا تلـــك الصورة التقليدية التي رسمها ابن سينا ومن راى رأيه . هي ذلـك «الشيء» الحيوي غير المعلوم او ذلك «العنصر الحيوي» الذي يستقر في جسم الانسان او يتفاعل معه او ينبث فيه فيكون الجسم بــه حيـا ، وينفصل عنه فيكون ميتا . وما اظن هذه الفكرة بحاجة الى تقريب . على اننا نستطيع ان نمثلها بالاثير الذي قيل لنا على مقاعد الدرس في علم الطبيعة انه يملأ كل مكان فارغ . شيء لم نكن نعرف كنهـه ، ولكنا كنـا نقول انه يملأ كل مكان ليس فيه مادة (وينتقل الضوء مثلا بوساطته) شيء لطيف موزع في كل فراغ .

ويتعرض المؤلف الفاضل بالطبع الى (الروحية) و (الماديـة) ، وهما مصطلحان اساسيان يعتبر الاتفاق على معناهما ضروريا لفهـم الموضوع وتكوين رأي فيه .

فالروحية عند الافرنج هي ال(١) أو ال(٢) ، وهي النظرة الفلسفية او الفكرية التي تقوم على ان اعمال الانسان وفعالياته لا تحد باستعمال الاعضاء المادية والبدنية ، وان في المواد العضوية « عنصرا حيويـا » يندمج في المادة فينتج شخصية تبقى بعد موت الجسم . وهـــذا التعريف الشامل للسير اوليفر لودج يظل قريبا او مطابقا للــرأي التقليدي في الروح . و (الطريقة الروحية) في البحث تأذن بـأن يصل الانسان الى استنباطات او نظريات جديدة بالتفكير الــذاتي اللدني(٣) دون مختبر او مسطرة او مجهر . فانا افرض وجــود الروح في الانسان او غيره لانها يجب ان تكون موجودة في نظـري ، وان لم أرها أو أقسها بمقياس .

ويقابل (المادية) عند الافرنج ال(٤) ، وهي نظرة تفسر الاعمـــال والفعاليات الحيوية بتغيرات فيزيائية كيماوية تقع في الاجسام والجهاز العصبي بخاصة . ويعرفها برتراند رسل بانها «النظرة التي ترى ان سير الطبيعة انما تقرره القوانين الفيزيائية» . وتقتضي (الطريقـة المادية) ان تكون الاستنباطات مبنية على البرهان الحسي . فالمادية نظرة وسيلتها (الطريقة العلمية) نفسها ، أي ال(٥) التي نظمهـــا واصطلح عليها العلماء والباحثون في العصور الحديثة .

ان الروحية والمادية في صورة عامة اذن هما فلسفتان او نظرتـان الى الامور يدعمهما اسلوبان في التفكير او طريقتان في الوصول الى افكار او فروض ونظريات جديدة . ومن المهم القول انهما ليستـــا عقيدتين او مذهبين لهما بالضرورة صلة بالدين. وبلسان ج.١.طومسون « ان الدين والعلم لا يقاسان بمقياس واحد ، وليس من تضاد بينهما ». ومادة الفلسفة بالطبع هي العلم وحقائقه . واذا كان هذا الارتبـاط لا بد موجودا عند بعضهم ، سميت المادية عندئذ ، وعندئذ فقــط ، (المادة المضادة للدين(٦) .) وهنالك علماء يتبعون الطريقة العلميـة (المادية) في البحث ويصلون الى نتائج علمية كبيرة ، وهم فـــي نظراتهم وعقائدهم واساليبهم روحيون ، مثـل دارون وميليكـــــان و آنشتاين وغيرهم .

ودارون نفسه اتبع الاسلوب العلمي في بحثه موضوع التطور وكان روحاني النظرة بايمانه الديني العميق . ولقد اعتبرت نظرية التطور

عند ظهورها مغايرة للدين ، ثم تبين فيما بعد ان لا علاقة لها به .

ومع ان المصطلحين(٧) و (٨) يستعملان مترادفين في معظم الاحيان فان ألفرق بينهما اقل شأنا من الفرق الذي وقع مؤخرا فيالاستعمال العربي المتصل بهذا الموضوع ، والذي يجب ان ننبهاليه توا . فنحن في « المصطلح » العربي الان نقول « مثالية » في ترجمة كلمة(٩) ولا نقصد بها المعنى الصحيح من هذا الاصطلاح الفلسفي الهام ، اذ اننا نطلق كلمة « المثالية » على ما يستهدف « المثل الاعلى » او الافضل من كل شيء . ونطلق على انسان ما صفة « المثالية » لنقول انه يهدف الى المثل الاعلى . اما المثالية في الفلسفة فهي فكرة ، وهي اسلوب في التفكير ، نعني بها وجود « عنصر حيوي » او « نفس » او ما يشبههما ، وهذا الوجود قائم على المعرفة التلقائية اللدنية ، او المعرفة القائمة على « اعتقاد » المرء ، دون ان نصل الى هذه المعرفة عن طريق الاسلوب العلمي المبني على القياس والنظر ، كما اسلفنا .

وان اول ملاحظاتي عل ىالاستاذ الكبير علي نصوح الطاهر في مؤلفه انه يتحدث دون أي تحفظ وكأن المادية عقيدة الحادية فقط والروحية عقيدة دينية فقط ، فيندد بالاولى طبعا ويشيد بالثانية . والخطر في ذلك ان ينفر القراء والشادين في العلم من الطريقة العلمية التيتعتبر حجر الزاوية في التطور العلمي الحديث وسرعته . ولكن الاستاذ يربط بينهما فيقول « ان الفكر الاسلامي ، المستمد من القرآن العظيم، لم يترك لمادية القرن العشرين جديدا عليه ، الا ما بعثته من الحادية ليست جديدة طالما ندد بها الاسلام » . ونكرر ان الاستاذ يعلم ان الروحية او المثالية وجدت ايضا عند مفكرين لم تكن لهم اية علاقة بالديانات السماوية ، مثل قدماء المصريين واليونان . واذا نظرنا الى الروحية والمادية على ضوء تعريفنا السابق ، استطعنا ان نمضي في البحث دون تعرض للمزالق أو الاخطاء .

ان الاستاذ الطاهر بحث في كتابه موضوعا روحيا ، هو الروح نفسها ، واتبع في الحقيقة الطريقة الروحية . وهذا شيء صحيح لا غبار عليه من وجهة نظره ، ولكنه يصرح مع ذلك بانه يتبع في بحثه الطريقة العلمية ، (ص ٤٠) ، ولذلك جاءت النتيجة التي توصل اليها احيانا غير مطردة ولا متجانسة ، بل غامضة مختلفة عما توصل اليه ابن سينا واكثر العلماء المسلمين الذين لهم رأي في القضية . وانا اقدر مثلا رأي ابن سينا الواضح في الروح ، كما مر معنا ، واقدر من الناحية الاخرى انكار ابن كيسان للنفس جملته اذ قال : « لا اعرف الا ما شاهدته بحواسي » ، وهو قول يدلك على مدى حرية الراي التي يطلقها الدين الاسلامي للمسلمين . ولكن الاستاذ الطاهر يبحث في (الروح) ويتبع مع ذلك احيانا (الاسلوب العلمي) المادي . وسأشير عما قريب الى النتيجة الحتمية التي وصل اليها الاستاذ في موضع من المواضع دون ان يقصد الى الوصول الى هذه النتيجة فيما أرجح .

ونعود الان الى ابن سينا . ان الروح عنده واضحة ، فهي شيء روحاني يهبط من السماء الى الارض ، ويسكن جسم الانسان مستقلا عن هذا الجسم . وتكون الروح عنده طيبة وتكون خبيثة ، وتترك الجسم عند موته فتصعد الى السماء . وليس حظ الروح عند ابن سينا باقل شأنا في توضيح المسالة من حظ الاثير الذي اشرنا اليه والذي تخيله نيوتن فعلماء الطبيعيات في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن لتوضيح بعض الظاهرات الطبيعية ، بل ان حظها عنده(اي

---

1) Spiritualism. 2) Idealism. 3) Subjective. 4) Materialism. 5) Scientific method. 6) Anti-religious materialism. 7) Idealism. 8) Spiritualism. 9) Idealism. 10) Mind. 11) Brain.



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

فى لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.
فى الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها
فى الولايات المتحدة : ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

فى لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى
فى الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

⊙

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

⊙

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ — المنزل ٢٥١٣٩

Tél. Direc : 23819 — Dle : 25139

⊙

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

ابن سينا) جاء اعظم شأنا من ذلك حقا ، واننا لنفهم رأيه في الروح كل الفهم .

اما الروح عند الاستاذ الطاهر فهي كما يلي :

(١) لا وجود للروح دون البدن ولا وجود للبدن دون الروح (ص٤٣) .

(٢) ان الاجسام تولد مثلها بجسميتها وحيويتها معا (والحيوية عند الاستاذ هي النفس ، الروح) (ص ٤٤) .

(٣) ان ارتقاء البدن هو نتيجة تعاون المادة الحية مع المادة غير الحية، وان كل خلية من خلايا الكائن الحي هي كائن حي بنفسه (ص ٨٠) .

(٤) اننا نميل الى القول بالكائن الحي فقط ، دون تفريق بين الروح والجسد (ص ٤٨)

ويقول :

(٥) الدماغ هو مركز الروح ، أي مولد الحياة (ص ٥٠) .

(٦) ان انفعالات البدن هي في حقيقتها انفعالات القوة الحية في الجسد ، وهي العقل ومركزه المخ .

واخيرا :

(٧) يغلب على الظن ان الروح نشأت من الارض او في الارض،وان الارض نفسها تشبه مزرعة للارواح (ص ٥٤) .

ان الافكار الواردة في البنود الاولى (١-٤) تشير الى شيء واضح او شبه واضح ، ومع ذلك فالبنود الثانية (٥-٧) تنعطف بنا الى اتجاه اخر .

في الاولى نجد الروح منبثة في الجسد وتدخل كل خلية من خلايا هذا الجسد ، وفي الثانية نجدها متمركزة في الدماغ والعقل والمخ . ولعل الاستاذ يقصد هنا ان الروح تتركز تركزا اساسيا في الدماغ ، ثم تتزود خلايا الجسم بالروح من الدماغ كما تتزود البيوت بالمياه من خزان . ونحن لا نستطيع ان ندرك المعنى المقصود في البنود الاولى للاستاذ ان لم نقل انه يقصد بالروح صنعة (الحياة) الموجودة في الكائن الحي ، سواء أكان هذا خلية انسان له دماغ او خلية نبات او أميبا لا دماغ لها ولا عقل .

ونظرة اخرى في هذه الافكار الى المصطلحات . فالاستاذ المؤلف يعلم ولا ريب ان (المخ) الان هو غير الدماغ وان (العقل) غير هذا وذاك . فالعقل عمل الدماغ او عمل الجهاز العصبي كله . والمخ جزء من الجهاز العصبي وجزء من الدماغ نفسه . فهل تستطيع هذه كلها ان تكون موطنا للروح في آن واحد ؟ يبدو ان الاستاذ يستعمل مصطلحي (الدماغ) و (العقل) بمعنى واحد ، وهو استعمال قديم، مع ان العقل(١٠) هو الفكر او التفكير . ولعله يلمح التشويش الواقع حين يستعمل (الدماغ) مرادفا لـ (العقل) فيوضح ذلك بقوله (العقل المادي) ، (ص ٤٧) . ومع هذا فان الحقيقة الهامة تظل ان الاستاذ يرى ان (الدماغ هو مركز الروح) .

وعندي ان آراء الاستاذ هذه ، او رأيه ، متأثر برأي ابن رشد وتوما الاكويني الى حد بعيد . يدل على ذلك شرح المؤلف نفسه في الكتاب . وأضيف الى ذلك ان الاستاذ متأثر ايضا بآراء العلماء المحدثين وبحوثهم في « النفس » و « سر الحياة » . لم يقتصر على ما كان معروفا منذ الف سنة ، يوم عاش ابن سينا ، او منذ مائة سنة ، يوم ظلت الفلسفة متأثرة اكبر التأثر بالنظريات المثالية (او نظرات ما وراء الطبيعة) لليونان والعرب والقرون الوسطى والطرف الاول من القرون الحديثة . لم يقتصر على ذلك بل تعداه الى استنباطات بنيت على دراسة الخلية الحية مؤخرا وعلى دراسة الذرة . ان الاستاذ الطاهر هنا مفكر يضع قدما في اعرق العصور قدما في التاريخ ويضع الاخرى في أحدث هذه العصور ، ويحاول الجمع بينهما . ولهذا تحمل نظريته في الروح آثارا من نظرة ابن سينا وغيره وآثارا من نظرة علماء الحياة المحدثين ، نظرة من ابن رشد واخرى من يونج في العقل وولسن في الخلية ، نظرة يصل اليها بالطريقة الروحية واخرى بالطريقة المادية . وكان الناتج من ذلك رأيا مزيجا في موضوع لا ينطبق تماما على الاخر، ولن يلبث وشيكا ان يتغير تحت تأثير المكتشفات العلمية .

فاذا كان الدماغ(١١) مركز الروح ، فان الاجسام الحية التي لا نعلم لها دماغا مثل خلايا الجسم الانساني والاحياء ذات الخلية الواحدة مثل الاميبا ، لا تكون عند الاستاذ ذات روح ولا ذات حياة . والخلايا الحية التي نعلم انها ذات نسمة حية فعلا مثل خلايا النبات لا بد عند الاستاذ وان تكون ذات عقل او دماغ او ذات روح . وهي نتائج منطقية حتمية ما اظن الاستاذ المؤلف قصد اليها .

وناحية اخرى نتجت مع الاستاذ ، ولست ادري مبلغ قصده اليها، اذ يقول (ص ٤٧) ان « التفكير نتاج العقل المادي (يقصد الدماغ) . والعقل (يقصد الدماغ) قابل للنمو مادة ، ونموه الفكري نتيجة لنموه المادي » . وهذا القول (على صحته) معناه بلغة أبسط ان التفكير نتاج الدماغ ، او من عمل الدماغ . وهو يشبه قولنا أن الهضم نتاج المعدة . وهذا بالطبع صحيح ، ولكن ينتج منه ايضا ان تكون عملية التفكير المعقدة المعنوية السامية وليدة عمل الدماغ ، لا عمل الروح . وما الدماغ الا مجموعة من الخلايا والاعصاب . وبعبارة اخرى ينشأ عن مجموعة من الخلايا عمل عال يعزى عادة الى قوى روحية لا صلة للمادة بها . وهذا التفكير لعمري تفكير مادي هو اساس الطريقة العلمية (المادية) في البحث .

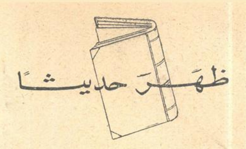
ان هذه النتيجة لا تتنافى مع النتيجة المنتظرة لبحوث بعض علماء الحياة الدائرة اليوم ، والتي يحاول هؤلاء العلماء ان يجدوها في سر العلاقة التي تربط بين العناصر الكيماوية بصورة تتكون معها حياة ولسنا ندري ما تكون عليه نتائج ابحاثهم ، ولكنا نعرف اتجاه هذه الابحاث . فاذا ادت الى شيء ايجابي فلعلنا عندئذ نكتشف معنى الآية الكريمة « يخرج الحي من الميت » . ولست أجد مخرجا للاستاذ من هذه النتيجة (المادية) الا اذا قال ان « المواد الحية » ، كما يعبر عنها ، في كل خلية من خلايا الدماغ هي قوة الدماغ الروحية . وهو تفكير قد ينقذ النظرية ، ولكنه ينهار في الوقت الذي تنتهي فيه الى شيء بحوث العلماء التي اشرنا اليها . اضف الى ذلك انه من الصعب ان يقنعنا الاستاذ ان المواد الحية شيء يعادل الروح ، الا اذا خرجنا عن المعنى المقصود للروح واقتربنا كثيرا من المعاني المادية .

وبعد فلا مناص من الوقوف في هذه الكلمة عند حد . واخشى ان اكون قد اطلت في موضوع يرى القارىء الكريم مع ذلك فجوانه وآثار العجلة فيه . ان الاستاذ الطاهر قد شرح قصيدة ابن سينا البالغة عشرين بيتا فقط في ١٥٠ صفحة كبيرة ، فالتعليق على كتابه لا يكون بأقل من هذه الصفحات .

لقد انصرفت في هذه المعالجة الى جوهر الموضوع الذي تعرض له الاستاذ ، ولم اتعرض للكتاب كله . ان الكتاب يظل بحثا فيه تضحية كبيرة في هذه الظروف التي ينصرف فيها الناس الى الكتابة الخفيفة العاجلة ، وهو يدل على سعة اطلاع ، وتمكن من اللغة نثرا ونظما . وفي الكتاب لمحات عالية عن العلاقة بين الموت والتطور (ص ٨٥) لا مجال هنا للخوض فيها .

واني اذ ابارك للاستاذ الصديق جهده وتضحيته ، واثني على علمه وادبه ، أثق انه سيرى في هذه الكلمة الناقدة آثار العناية والمحبة والتقدير .

عمان — محمد اديب العامري



● الرومنطيقية في الادب الفرنسي ـ تاليف ف.ل. سولنيه ـ ترجمة احمد دمشقية ـ ٢١٢ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطبعة عيتاني الجديدة ببيروت .

● عذاب الضمير ـ قصص اجتماعية من صميم الواقع العراقي ـ تاليف عبد الرزاق السيد احمد السامرائي ـ تقديم الدكتور داود سلوم ـ ٥٠ صفحة ـ منشورات مكتب منى للطباعة والنشر ببغداد ـ مطبعة الاداب في النجف .

● زورق السحر والخلود ـ مجموعة قصائد مختارة من ديوان رائدة الشعر المجدد اميلي ديكنسون ١٨٣٠ـ١٨٨٦ مع نبذة عن حياتها وآثارها ـ تاليف محمد صالح البنداق ـ ٨٠ صفحة ـ صدر في بيروت (لم يذكر اسم المطبعة) .

● قبل الاوان ـ قصة ـ تاليف سليمى قميرة ـ ١٧٦ صفحة ـ مزين بالرسوم بريشة اسماعيل شموط ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ولي من لبنان ـ سيرة العارف بالله الامير السيد جمال الدين عبدالله التنوخي ـ تاليف يوسف ابراهيم يزبك ـ الطبعة الثالثة ـ ١٠٠ صفحة ـ منشورات اوراق لبنانية في الحدث لبنان ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● القافلة ـ تاليف محمود العبطه المحامي ـ الجزء الثاني ـ ١٢٨ صفحة ـ مطبعة الاسواق التجارية ببغداد .

● الرومنطيقية ومعالمها في الشعر العربي الحديث ـ تاليف عيسى يوسف بلاطه استاذ اللغة العربية في مدرسة المطران بالقدس ـ ١٨٤ صفحة ـ منشورات دار الثقافة ببيروت ـ مطابع سميا ببيروت .

● تفكيك وتحريك ـ القسم الاول من كتاب « لغتنا العربية تحل مشكلاتها بنفسها » ـ تاليف نجيب مخول ـ تقديم سمعان نصر ـ ٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مجلة الرسالة المخلصية بصيدا لبنان ـ المطبعة المخلصية بصيدا لبنان .

● كتاب الابدال ـ تاليف الامام العلامة حجة العرب ابي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي المتوفي سنة ٣٥١ هـ. ـ الجزء الاول ـ حققه وشرحه ونشر حواشيه الاصلية واكمل نواقصه عزالدين التنوخي عضوالمجمع العلمي العربي بدمشق ـ ٤٠٤ صفحات ـ حجم كبير ـ مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ـ مطبعة الترقي(؟)

● رسالة ابن فضلان احمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد ـ في وصف الرحلة الى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة ٣٠٩ هـ. ٩٢١ م. ـ حققها وعلق عليها وقدم لها الدكتور سامي الدهان عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ـ ٢٠٨ صفحات ـ حجم كبير ـ مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ـ المطبعة الهاشمية بدمشق .

● البحار الوسيم « بيلي بد » ـ تاليف هرمان ملفيل ـ ترجمة وتقديم مصطفى طه حبيب ـ مصمم الغلاف المهندس رفيق البابلي ـ ٢١٦ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (؟)

● الذرة في خدمة السلام ـ تاليف مارتن مان ـ ترجمة الدكتور محمد صابر سليم الاستاذ المساعد بكلية التربية بجامعة عين شمس ـ مصمم الغلاف المهندس رفيق البابلي ـ ١٢٤ صفحة ـ مع عدة رسوم حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية (؟)

● الديمقراطية عند العرب ـ تاليف ابراهيم حداد ـ ١٧٦ صفحة ـ منشورات دار الثقافة ببيروت ـ مطابع سميا ببيروت

● سلسلة الثقافة الاسلامية ـ المجموعة الثانية : سبتمبر ١٩٥٩ حتى يونيه ١٩٦٠ ـ باشراف محمد عبدالله السمان ـ ٧٠٠ صفحة تقريبا ـ منشورات المكتب الفني للنشر بالقاهرة ـ مطبعة دار الجهاد بالقاهرة .

● ربيع الامل ـ مجموعة قصص ـ تاليف خضر نبوه ـ طبعة ثانية ـ ٦٤ صفحة ـ دار الفد للطباعة والنشر ببيروت .

● من اغاني الحرية ـ شعر ـ لكاظم جواد ـ ٢١٦ صفحة ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت .

● ليل .. متى يهجر عمان ؟ ـ قصة ـ تاليف عبد الرزاق الخالدي ـ ٦٦ صفحة ـ منشورات الخالدي بصيدا لبنان ـ المطبعة العصرية بصيدا ـ لبنان .

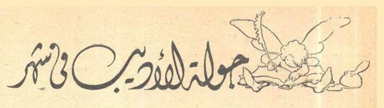
● حول انجازات وزارة المعارف ـ ٥٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مصور ـ ملحق المجلد ٢٣ تموز ١٩٦٠ لمجلة المعلم الجديد ببغداد ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● جبران خليل جبران : حياته موته ادبه فنه ـ تاليف ميخائيل نعيمة ـ الطبعة الرابعة ـ ٢٨٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار صادر دار بيروت في بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● البيادر ـ تاليف ميخائيل نعيمة ـ الطبعة الرابعة ـ ٢٤٣ ـ منشورات دار صادر دار بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● ديوان الاعشى ـ ٢٢٣ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار صادر دار بيروت في بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● Ibn Khaldun, Os Prolegômenos ou Filosofia Social — Traduçao Integral E Direta Do Arabe — De Jose Khoury membro de Instituto Brasileiro De Filosofia E Angelina Bierrembach Khoury Catedratica de Ciências na Escola Normal Alexandre de Gusmão — Tomo Primeiro — 568 pages — Tomo Segundo — 452 pages — gd.f. — Com Introduçao Por Jamil Almansur Haddad — Composto E Impresso Nas Oficinas Graficas Da Editora Commercial Safady Ltd., Sao Paulo Brasil.



التمريض ، حاجة اجتماعية ملحة

بقلم نادره دسوقي

مديرة مدرسة التمريض الوطنية في بيروت
منتدبة للتخصص في نيوزيلندا

لو اتيح لنا ان نلقي نظرة عاجلة الى ايام التاريخ الاولى ، لرأينا كيف ان الانسان بدأ حضارته بابسط معانيها، ومع التطور التدريجي، وصل الى عصر القنبلة الذرية والصاروخ القمري ... والامم فى الوقت الحاضر تسعى الى مستوى اعلى من العلم ، في كل مجال . وما زلنا ، وخاصة في العالم العربي ، بحاجة ماسة الى ذوي الاختصاص في نطاق اعمالهم ، وفي حقل التمريض بالذات ، ليواكب تطور مستوى العلم العام ، وهناك قول مأثور : « انما الامم تقاس بمقدار الصحة والعلم فيها » .

والتمريض ، كالطب ، له اسسه العلمية والعملية . وقد وجدا معا وسوف لا يفترقان . وكلاهما ابتدأ بابسط الوسائل حين اخذ الانسان يشكو آلامه الجسدية والعقلية . وكان الانسان ، بداءة ، يربت على جرحه كالحيوان . ثم جرب معالجة مرضه بانواع شتى من الحشائش . وتطوع بعض من الرجال والنساء لزيارة المرضى فى البيوت أو في المعابد ، حيث كانوا يضعون مرضاهم احيانا للتمريض والمعالجة . وباستشارة بعضهم بعضا ، تعمقوا اكثر في دراسة الامراض واسبابها ومعالجتها . ويعود الفضل في تطور الطب، للطبيب العربي الاول ابو علي الحسين بن سينا والطبيب اليوناني ابقراط اللذين ارهصا للطب الحديث ، وفي ايجاد فن التمريض لفلورنس نايتنغيل الرائدة الاولى .

واول خطوة تعتبر في فن التمريض الحديث ، عندما تسلمت فلورنس نايتنغيل رسالة من السير سدني هربرت يخبرها فيها : « عن اجتماع شعبي عقد في لندن بتاريخ ٢٠ تشرين ثاني (نوفمبر) ١٨٥٥ ليعبر فيه الشعب عن تقديره لخدماتها الجليلة التي قامت بها في ساحات حرب القرم . وقد قرر بالاجماع تخصيص رأس مال خاص باسم « نايتنغيل » لتنفقه على فتح مدرسة خاصة تستطيع الفتيات ان يتعلمن فيها فن التمريض » .

بهذه الرسالة الصغيرة ، تحقق حلم فلورنس نايتنغيل الكبير ، فاسست اولى مدرسة لتعليم فن التمريض الحديث . وذلك في عام ١٨٦٠ في مستشفى سانت توماس في لندن ، سميت « مدرسة نايتنغيل » .

خمس عشرة فتاة كن في اول فوج التحق بهذه المدرسة . واقتصر الاختيار ، في ذلك الحين ، على ذوات المقدرة الكافية والاخلاق الحميدة للقيام بهذه المهنة الشريفة . وسؤال واحد زال مع الزمن وهو : « هل تستطيعين القراءة والكتابة ؟ » . وكان على التلميذات ان يخضعن لتجربة مدتها شهر واحد ، ومن ثم يقضين سنة واحدة في تعلم فن التمريض . واللواتي يجتزن الامتحانات المقررة في نهاية هذا العام ، يعرفن كممرضات قانونيات . وعليهن ان يقضين سنتين اخريين في المستشفى التدريبي العملي . وكان منهاج التعليم يقتصر على النظافة والصحة ، علاوة على فن التمريض . وعمل الممرضة في ذلك الحين ، لا يتعدى العناية بالمريض ، سواء في البيت او في المستشفى .

ان الثورة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والصناعية ، وخاصة تعليم المرأة وتحررها في شتى الميادين ، قد اثر تأثيرا كبيرا في تطور مهنة التمريض ودفعها الى الامام . والقائمون على تحسين الخدمة الصحية للمريض وللامة عامة ، يتفقون على ان رفع مستوى العلم في مدارس التمريض لا يؤتي أكله ، ما لم يقم المشرفون عليها باختيار تلميذات ناضجات ذوات مستوى علمي عال . سيؤدي هذا الى قلة عدد الممرضات ، ولكن بعد نهاية مدة دراستهن يكن قادرات على تحمل المسؤولية المطلوبة في الوقت الحاضر ، من الممرضة القانونية ، ويرفع من مكانة مهنة التمريض ، وتحسين الخدمة التمريضية عامة . ومنهاج التعليم في مدرسة التمريض الان يجب تخطيطه على اساس دمج التعليم النظري والعملي معا ، ويجب ان يتضمن المواضيع العلمية التالية :

الكيمياء والفيزياء ، التشريح ووظائف الاعضاء، الجراثيم والطفيليات، التغذية ، علم النفس وعلم الاجتماع ، علم الادوية ، علم الامراض الداخلية والجراحية ، علم الصحة ، التمريض بالصحة العامة وصحة الام والولد ، التمريض العقلي علاوة على فن التمريض . مع ايجاد حقل عمل مناسب لتدريب التلميذات كمستشفى لا يقل عدد مرضاه عن المائة من اناث وذكور، ويضم معالجة الامراض الداخلية والجراحية، التوليد وامراض النساء وتمريض الاطفال . وفي مدة لا تقل عن ثلاث سنوات كحد ادنى ، كما يطالب به المجلس الدولي للتمريض .

ان مهنة التمريض لا يجب ان تخلو من دراسات وتخطيطات للمستقبل . ويأتي يوم سيطالب فيه ، كحد ادنى لتعليم التمريض، ان يكون عدد المرضى في المستشفى او المستشفيات التي تقوم التلميذات على التدرب فيها لا يقل عن الثلاثماية ، مع عيادة اسعاف ، وعيادة خارجية . وعلى المستشفى ان تؤمن تمرين التلميذات بأمراض العين، الاذن والانف والحنجرة ، جراحة العظم والصدر ، الامراض الجلدية ، الامراض السارية ، الامراض العقلية ومأوى العجزة . فضلا عما سبقت الاشارة اليه ، لتكون مدرسة التمريض مثالية تؤمن لطالباتها ما يتزودن به من خبرة ومعرفة ، قبل الاضطلاع بمسؤولياتهن لايفاء مطاليب الامة الصحية بكامل معانيها .

ان ازدياد الشعوب على اطراد.وان نظام الصحة العامة والمستشفيات لفي توسع وتقدم مستمرين . وما هذا التقدم بشيء يذكر ، لما ينتظر لجيل الممرضات القادم . فمنظمة الصحة العالمية تنصح بمعالجة المرضى في بيوتهم ، وعياداتهم الخاصة . مما يدعو الى مضاعفة عدد الممرضات في الصحة العامة والخدمة التمريضية في المنزل . وسوف تصبح المستشفيات ذوات اختصاصات عالية تستدعي رفع مستوى تعليم مهنة التمريض . وسير نظام المستشفى ومواجهة حاجات المرضى وتزويد الممرضات التلميذات بما يجب ان يتزودن به ، يتوقف على مقدرة ومهارة القائمين او القائمات بالاعمال الادارية فيه .

كل هذا لا يتم ، ما لم تكن كل مسؤولة في حقل التمريض قد نالت تحضيرا كافيا ، وخبرة واسعة ، بعد تخرجها على مستوى جامعي في منهاج دراسي مبني على اساس التعليم النظري ـ فضلا عن العملي ـ كدراسة الادارة والتنظيم ، وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الحياة والفلسفة . مع الاختصاص المطلوب ، مثلا : ادارة

التمريض الصحي العام ، او ادارة المستشفيات ، او ادارة مدارس التمريض .

وهذه الدراسة ستكون النواة الصالحة للممرضة المرشدة في مدارس التمريض والخدمة التمريضية على السواء . وانه لمن الضروري ان تأخذ الحكومات على عاتقها منح وتأمين هذه الدراسة ، لكل مسؤولة عن تخطيط منهاج تعليم التمريض والخدمة التمريضية العلاجية والوقائية عامة ، لكي يقدر تعريف منظمة الصحة العالمية حق قدره وهو : « ان الصحة هي اكتمال الصحة الجسدية والعقلية الاجتماعية وليست خلو الجسم من المرض والعاهة فقط » .

ويبقى السؤال : كيف تساعد الدراسة الجامعية المرضة الرائدة والمرشدة في حقل التمريض ؟

لتفهم هذا يجب الالمام بعمل الممرضة الرائدة :

اولا – ان تكون قادرة على تخطيط اعمالها مراعية حاجة الشعب في الوقت الحاضر ، ومتطلبات ممرضاتها . وان تدرس هذه المتطلبات في جميع الفروع . في الصحة العامة والحقل الاجتماعي والخدمة التمريضية وتعليم التمريض ...

ثانيا – ان تكون لديها الثقة التامة والصلاحية والمقدرة لتقديم النصح والارشاد الى تلميذاتها وممرضاتها وموظفاتها . وان تستطيع مساعدتهن شخصيا ومهنيا في اي حقل يحتجن فيه الى مشورة او مساعدة .

ان التعليم الجامعي الذي تتلقاه الممرضة المتخصصة سوف يزودها باسس للادارة والتنظيم ، ويجعلها قادرة على مقابلة جميع انواع ادارة التمريض بطريقة ايجابية ، ويهبها الثقة في قدرتها على المعاملة الحسنة مع من تتعامل معهم . ومواجهة جميع المشاكل بكل تأن وحذر ، لاداء واجبها كمواطنة مسؤولة مع المؤسسات الاخرى . ومن ثم كسب ثقة واحترام الامة لمهنة التمريض .

ان عدد الممرضات القانونيات الطالبات التخصص على مستوى جامعي ، لفي ازدياد . والفضل في مساعدتهن للتغلب في صراعهن هذا ، للحكومات المهتمة برفع المستوى الصحي والعلمي بين ابناء شعبها ... وللمؤسسات وهيئات صحية عالمية او خاصة ، هدفها رفع المستوى الصحي العالمي ، كمنظمة الصحة العالمية ومؤسسة روكفلر وغيرهما .

من هنا نرى اهمية رفع مستوى تعليم فن التمريض والدراسة الجامعية للممرضة التي ستكون في المستقبل رائدة ومرشدة في حقل عملها لما يتطلب منها نحو تلميذاتها ومعهدها والامة عامة . واهمية زيادة الممرضات ذوات الخبرة والمهارة في الادارة والتعليم والمراقبة، ما زالت قائمة . كما المحت الى ذلك منظمة الصحة العالمية في بحثها عن شؤون التمريض قائلة : « ان الممرضات القائمات باعمال الادارة والتعليم والمراقبة في حقل التمريض يجب ان ينلن دراسة وتحضير على ذلك في مستوى جامعي » .

ان فن التمريض ، كمهنة ورسالة ، يستطيع ان يؤدي للانسانية ، مع الطب ، اجل الخدمات . وعالمنا العربي ، وهو يستشرف نهضة نرجو ان تأتي مباركة ، بأمس الحاجة للمساهمة في رفع مستوى التمريض في ربوعه . فهذه الملايين المعذبة من الناس في العالم تنتظر من يخفف عنها آلاما ويضمد جروحا ويبلسم . ويجب ان يتاح للمرأة مجالا اوفر من العلم لتصبح ذات مقدرة اقوى على مواجهة المتطلبات الاجتماعية المتزايدة ، كالامومة . والمترقبة للمزيد من العناية والاهتمام.

نيوزيلندا نادره دسوقي

وضع الصحافة كما تراه اليونسكو

على ضوء التطورات العظيمة والتقدم الواسع الذي طرأ على وضع القراءة في العالم ، ازدادت كثيرا قراءة الجرائد في العالم ولا سيما في البلدان الحديثة الاخذة باسباب التطور ، بعد ان ظهر في العقود الاخيرة الالوف المؤلفة من الجرائد اليومية والاسبوعية . هذا ما يظهر واضحا من التقرير العام الذي اصدرته اخيرا منظمة اليونسكو . ان في العالم اليوم نحو ٨٠٠٠ جريدة يومية يبلغ مجموع ما تطبع من أعدادها في اليوم الواحد ٢٥٣ مليون نسخة ، منها ما يصدر في الارياف البعيدة النائية ، وبينها الجرائد العالمية الكبرى التي تصدر بملايين الاعداد في المدن الكبرى.

والى جانب هذا العدد من الصحف اليومية هنالك ٢٢٠٠٠ صحيفة تصدر بضع مرات في الاسبوع الواحد تطبع مجتمعة ٢٠٠ مليون نسخة في كل طبعة كما ان هنالك اكثر من ٨٠٠٠٠ جريدة اسبوعية لم تدخل في عملية الجرد هذه . ويشير تقرير اليونسكو المذكور ان هذه الخدمات التي تتمثل في الصحافة لا يتقاسمها الناس على السواء في قارات العالم وبلدانها المختلفة . وقد جاء في التقرير ما نصه : « بالرغم من تزايد الانشاءات الصحفية فالقارات التي تضم اكبر عدد من هذه البلدان الاخذة باسباب التطور والتي تضم لوحدها ٦٠ في المائة من مجموع سكان العالم لا تضم سوى ٢٥ في المائة من مجموع التداول اليومي لهذه الجرائد (ففي افريقيا ١ في المائة وفي اميركا الجنوبية ٤ بالمائة بينما يصيب اسيا منها ٢٠ بالمائة) . »

وبالمقارنة نرى ان اوروبا وحدها تملك ٣٨ بالمائة من اصل هذا المجموع ، ويصيب اميركا الشمالية ٢٦ بالمائة ، والاتحاد السوفياتي ٩ بالمائة واوقيانيا ٢ بالمائة مع ان سكانها هم ١/١٥ من سكان القارة الافريقية . ويستنتج التقرير بعد التدقيق بهذه الارقام ما يلي : لما كان توزيع اعداد الجرائد اليومية في البلدان المتطورة يتراوح بين ٣٥ – ٦٠ عددا لكل ١٠٠ شخص ، نرى مع ذلك ان هذا المعدل لا يتجاوز في البلدان الاخذة باسباب التطور نسبة ٥ اعداد فقط لكل ١٠٠ شخص . ويشير التقرير الذي وضعته اليونسكو الى ان الصحافة التي هي اقدم وسائل التأثير الجماعي ، يجب ان تحسب حسابا قويا لمزاحمين ومنافسين شديدين هما الاذاعة والتلفزيون . ومع ان للاخرين من قوة التأثير ما لا يتم مثله للاولى ، فالصحافة لا تزال مع ذلك مصدرا اساسيا من مصادر التعليم والتدقيق يستطيع القارىء ان يعود اليه وينقطع له في ساعات الفراغ يتملى منه المعلومات والفوائد .

وهكذا مع انتشار الصحافة وازدياد عدد السكان في العالم وتحسين الوضع الاقتصادي للافراد والجماعات ، من المتوقع ان يتضاعف في السنوات الخمسة عشرة القادمة ، استهلاك العالم للجرائد والصحف كما يتوقع واضعو تقرير اليونسكو ولما كان من المتعذر جدا على البلدان المتخلفة ان تضاعف مشترياتها من ورق الصحف ، كان عليها ان تبذل جهودا ملحوظة لتأمين حاجتها منها من مواردها الداخلية ، والا اضطرت لمواجهة احتمال تخفيض استهلاك الورق فيها .

والثمانون الف جريدة وصحيفة أسبوعية التي تنشر في العالم اليوم ، على اشكال وتوزيع متواضع في القرى والارياف وتلك التي توزع عشرات الالوف من النسخ في المدن ، بينها جرائد ومجلات تتجه من القارىء العام كما بينها جرائد ومجلات اختصاصية ، تبحث في جميع ابواب العلم والمعرفة . ويشير التقرير الى ان اكثر من ٤٠ في المائة من هذه الدوريات الاسبوعية تصدر في بلدان اوروبا ، بينما ٢٠ في المائة منها تصدر في شمالي اميركا ، ومما يزيد على ١٥ في المائة منها يصدر في اسيا .

وتعول هذه الصحف في نقل الاخبار التي تنشرها على وكالات الاخبار

دار المعارف لبنان ش.م.ل.

بيروت ـ بناية العسيلي ـ شارع رياض الصلح ـ ص.ب ٢٦٧٦

تقدم للقارئ العربي في سلاسلها الشعبية الشهيرة اقوى الكتب المفيدة التي لا يستغني عنها كل قارئ (الاديب والطالب والعامل) فلا تتأخروا في تكوين مكتبة منزلية جميلة مفيدة قبل نفاذ اعدادها الاولى .

صدر حديثاً الكتب التالية :



تطلب من جميع المكتبات الشهيرة

الدولية . بينها خمس من كبار وكالات الاخبار العالمية تؤمن توزيع الاخبار ونقلها في ١٤٤ قطرا او مقاطعة ، وتوزع ٩٨،٧ في المائة من الاخبار العالمية وهذه الوكالات الدولية للاخبار هي : رويتر في بريطانيا ورابطة الشعوب البريطانية ووكالة الاخبار الفرنسية لفرنسا وممتلكاتها عبر البحار ، ووكالة تاس في الاتحاد السوفياتي ، والوكالتان الاميركيتان الاسوشيتد بريس واليونايتد بريس في الولايات المتحدة الاميركية .

والى جانب هذه الوكالات العالمية للاخبار هنالك نحو من ٧٥ وكالة قومية او وطنية موزعة بين ٦٥ دولة او بلدا من دول العالم تعمل في جمع واذاعة الاخبار المحلية وتوزعها على الصحافة المحلية ، كما تعمل من جهة اخرى على توزيع انباء وكالات الانباء الكبرى في العالم . ويشير التقرير ان هنالك ٤٥ دولة في افريقيا وفي اميركا الشمالية والجنوبية لا تملك وكالة قومية او وطنية للانباء ، فالانباء فيها توزعها الوكالات العالمية الكبرى . ويمد وكالات الانباء العالمية مراسلون في الخارج يمثلون احيانا صحيفة معينة او عددا من الصحف فيبعثون الى هذه الوكالات والجرائد التي يمثلونها ، بما يتيسر لهم جمعه من الانباء المحلية في شتى الموضوعات .

ويلاحظ تقرير اليونسكو حول الصحافة العالمية عامة ان مستوى الثقافة بين قراء الجرائد والمجلات الدورية ارتفع ارتفاعا محسوسا كما يستدل من الطلبات التي ترد على رؤساء التحرير يطلب فيها مرسلوها معالجة الموضوعات الدولية والتطور التكنولوجي الذي طرأ على العلم في مجال الطاقة النووية وريادة الفضاء , ويقدر واضعو التقرير المذكور ان الصحف اليومية في المستقبل ستخفف كثيرا من نشر الانباء المسلية لتهتم اكثر فاكثر بالقضايا الدولية والتعليق عليها بينما يقوم الراديو والتلفزيون بتامين النوع الاول .

•

التلفزيون اداة تربية وتعليم

في هذه الايام التي توزع فيها عادة جوائز « ايمي » لاحسن الاعمال والانجازات التي يحققها التلفزيون ، ينصرف عدد كبير من الاميركيين لدرس قضية التلفزة نظرة ادق وابعد من المالوف وعندما يأخذ بعضهم بمقارنة ما تصرفه البلاد من ساعات استمتاع بالروايات التمثيلية وبالالحان الموسيقية والدروس التربوية التي يستمعون اليها في الاذاعات التلفزيونية، بما يصدر في الغرب من القصص والروايات المثيرة التي تكلف اقل من الاولى ، يخرج الناس بآراء متضاربة : هذا متشائم قاتم النظرة وذاك موزع بين التشاؤم والتفاؤل وان رجح فيه العنصر الثاني بعد الذي يأملونه مما يرون من خطط وتصميمات يجري الاخذ بها في موعد افتتاح السنة المدرسية في الخريف القادم .

والانظار هنالك تتجه الى التلفزة التجارية التي تستبد باهتمام الناس وذلك لسبب بسيط جدا هو ان الحكومة لا تقدم مساعدات مالية لشركات التلفزيون وشبكاتها كما تفعل الحكومات في بلدان اخرى . غير ان الانسان لا يمكن ان يصدر حكما قاطعا على القضية دون ان يتوقف مليا عند التربية بالتلفزيون وهو نشاط اخذ بالاشتداد والامتداد يوما بعد يوم . فقد تم منذ ١٩٥٢ ، اي منذ ان وضعت لجنة المواصلات في مجلس النواب ، تشريعها الخاص بالتلفزيون التربوي ، انشاء ٤٦ محطة تلفزيونية غير استثمارية ، تعمل كلها في حقل التربية والتعليم على مختلف درجاته . ويختلف الناس رأيا من حيث تقديرهم للتلفزيون التربوي . فمنهم من يرى فيه تربية تجري وتشاهد من بعيد تعتمد فيها الاعتماد كله على الوسائل السمعية الصوتية ، بينما هنالك من يقدر التلفزيون عاليا كأداة لتثقيف الجماهير ولاسيما البالغين منهم .

واول محطة تربوية بالتلفزيون ، انشئت عام ١٩٥٣ وكانت برامج الدروس تذاع من احد الصفوف . وقد اخذت محطات التلفزيون تلون برامجها بعد ان تكاثر عددها في البلاد ، كما خصصت المزيد من هذه المناهج للبالغين والاذاعات التلفزيونية تجري اليوم ضمن شبكة مقفلة تتصل بالمدارس والصفوف كما تتصل بالستوديوهات التي تعطي فيها البرامج التربوية . وهنالك في اميركا اليوم ما لا يقل عن ٣٠٠ شبكة مقفلة او موصدة هي وقف على المدارس والمعاهد العلمية على اختلاف درجاتها . والتربية المتلفزة ، كغيرها من مناهج التربية والتعليم ، لها حسناتها كما لها سيئاتها ايضا . فالدروس المتلفزة تحمل الى حد بعيد ، صفات المعلمين والمدرسين وقدرتهم الخاصة على القاء الدرس كل بما اوتي من حرارة ونشاط . وقد برهنت التربية بالتلفزيون في الوقت الحاضر بانها اداة مفيدة جدا يمكن الاعتماد عليها لسد النقص الذي تعاني منه البلاد من حيث عدد المعلمين ، والمدارس اللازمة للطلاب .

•

شاهد من العصر الجليدي

هذا الشاهد هو الشجرة الحمراء (رد وود) هذه الشجرة التي تصل بين الماضي والحاضر او بين الشرق القديم والغرب الحديث ، احدى فسائل شجرة السكويا في كاليفورنيا . وقد اطلق عليها العامة اسم « الشجرة الحمراء » لاحمرار قشرتها الخارجية ، فهي من الذراري الباقيات سليلات تلك الشجرات التي كانت من نحو خمسين مليون سنة واكثر تغشي سفوح كاليفورنيا في حقبة كان فيها الغرب الاميركي مكسوا بالغابات الاستوائية .

ويبدو من فحص الاشجار المتحجرة ان غابات كثيفة من هذا الضرب من الشجر كانت تغطي من نحو ١٠٠ مليون سنة ، اقطارا واسعة في اسيا واوروبا الغربية وسيبيريا ومنشوريا والاسكا على بحر بهرين . وهذا الضرب من الشجر لم يعد يرى الا في منطقة ضيقة تمتد ٤٥٠ ميلا من كاليفورنيا وسواحل ولاية اوريغون الغربية ، وفي بعض اجمات معزولة في جبال سيارا نيفادا ، فهي من بقايا العهد الجليدي هذا العهد الذي كان فيه الجليد يغشي اوروبا واسيا والقسم الاكبر من اميركا الشمالية .

واول ما جيء على ذكر هذا النوع من الشجر في التاريخ ، كان في الرحلة التي وضعها المستكشف الاسباني دون غسبار دهبونزلا في كتابه « بالو التو » او « الشجرة العالية » ومن هذه التسمية اشتقت بلدة بالو التو القريبة من جامعة ستانفورد اسمها . والمصطلح العلمي لشجرة السيكويا اطلق عليها من قبل ستيفن اندليتشر العالم النمساوي اللغوي والخبير بعلم النبات ، فنحته من اسم تشروكي زعيم القبيلة الهندية سيكويا التي كانت لها لغة مكتوبة . ويعرف العلماء النباتيون ضربين من شجرة السيكويا هما السيكويا الخالدة التي تدعى ايضا: «كوست رد وود» والسيكويا الجبارة التي تعرف ايضا بالشجرة الضخمة . فالضرب الاول منهما هو اعلى شجر في العالم ، اما الضرب الثاني فهو اضخم شجر في العالم ايضا وكلاهما اقدم شجر يقوم على الارض اليوم .

ويتراوح قطر شجرة كوست رد وود بين ١٢ – ٢٠ قدما ، اما علوها فبين ٣٠٠ – ٣٥٠ قدما . وهنالك شجرة منها في غابة بول كريك فلات غروف علوها ٣٦٨ قدما . واشجارا كثيرة في هذه الغابة يزيد ارتفاعها على ارتفاع كاتدرائية كولون . واقدم شجرة من هذا النوع يبلغ عمرها ٢٥٠٠ سنة ، بينما يتراوح عمر الشجرات الاخرى بين ٥٠٠ – ٢٥٠٠ سنة .



يوليو ١٩٦٠

٢٦ ـ اعلن عبد الناصر اغلاق سفارة الجمهورية العربية في طهران وحمل على الشاه واتهمه بالتآمر مع الصهيونية والاستعمار

ـ اعلن وزير خارجية باكستان ان بلاده لن تعترف باسرائيل ولن تبدل موقفها منها

ـ صرح سوكارنو انه ليس شيوعيا بل يساريا ذا اراء اشتراكية .

ـ اعلن الجنرال هورن قائد القوات الدولية ان قضية ولاية كاتانغا جزء من قضية الكونغو في ما يتعلق بالقوات الدولية .

٢٧ ـ اعلنت ايران قطع علاقاتها الدبلوماسية مع الجمهورية العربية .

ـ اصدرت السفارة الايرانية في بيروت بيانا قالت فيه ان ايران كانت قد اعترفت باسرائيل اعترافا واقعيا منذ عشر سنوات وانه خلافا لما نشرته الانباء لم يطرأ اي تبديل على هذا الموقف .

ـ اكد ايزنهاور ان امريكا اقوى دولة على الارض عسكريا وتحدى الروس لاجراء استفتاء عالمي باشراف الامم المتحدة لمعرفة هل تريد شعوب العالم العيش في ظل النظام الشيوعي ام نظام حر .

ـ عدلت الوزارة البريطانية وعين اللورد هيوم وزيرا للخارجية مكان سلوين لويد الذي عين للمالية .

ـ وصل همرشولد الى بروكسل لمقابلة المسؤولين في طريقه الى الكونغو .

ـ رد مجلس الامن التهمة السوفياتية الخاصة بالطيران الجاسوسي التي وجهتها روسيا الى امريكا . واستخدم الاتحاد السوفياتي الفيتو ضد طلب امريكي باجراء تحقيق دولي حيادي .

٢٨ ـ رشح الحزب الجمهوري في الولايات المتحدة ريتشارد نيكسون وعمره ٤٧ سنة لرئاسة الجمهورية .

ـ عاد الى الخرطوم الفريق ابراهيم عبود

ـ وصل همرشولد الى ليوبولدفيل

٢٩ ـ قررت بلجيكا سحب ١٥٠٠ جندي من الكونغو فورا .

ـ وصل لومومبا الى مونريال في زيارة لكندا وقد اكد قبل مغادرته امريكا ان ثمة خطر نشوب حرب عالمية ما لم يجل البلجيكيون عن الكونغو فورا .

ـ اعلنت غانا مقاطعة جنوب افريقيا بسبب السياسة العنصرية التى تسير عليها

٣٠ ـ انتهت المقابلات التي جرت بين المستشار اديناور والجنرال ديغول وظلت المحادثات سرية .

ـ استقال احمد الداعوق رئيس الوزارة اللبنانية .

ـ اعلنت روسيا ان البحرية السوفياتية تملك غواصات مجهزة بصواريخ تستطيع اصابة اهداف في اراضي العدو النائية .

اغسطس ١٩٦٠

١ ـ شكل صائب سلام الوزارة اللبنانية الجديدة .

ـ فاز حزب الجبهة الوطنية انصار مكاريوس وكوتشوك بمقاعد اول برلمان في قبرص كما فاز الشيوعيون بخمسة مقاعد .

ـ ستزود اميركا الاقليم المصري بكمية من القمح والدقيق بقيمة ٥٨ مليون دولار بموجب اتفاقية وقعت بين البلدين .

ـ اعلنت القيادة الدولية ان القوات البلجيكية جلت عن ثلاثة مدن جديدة في الكونغو .

ـ طلبت الجمهورية العربية المتحدة عقد اجتماع طارىء لمجلس الجامعة العربية للبحث بقضية اعتراف ايران باسرائيل .

ـ اذاعت الحكومة الاردنية رد شاه ايران على رسالة الملك حسين وقد جاء فيها انه لم يطرأ اي تغيير على علاقات ايران واسرائيل التي كانت منذ البداية اعترافا على اساس الامر الواقع « دوفكتو » . ولم يكن امر الاعتراف باسرائيل رسميا كان ام قانونيا موضوع بحث .

٢ ـ انذرت الكونغو المؤسسات البلجيكية بمصادرتها اذا لم تفتح ابوابها خلال ٨ ايام .

ـ حذر همرشولد زعماء الكونغو بان بلادهم ستخسر نتيجة لاي انقسام بين الدول الكبرى حول مستقبلها .

ـ طلب لومومبا الى الامم المتحدة ارسال قوات فورا الى مقاطعة كاتانغا التي انفصلت عن الكونغو .

٣ ـ اعلن همرشولد ان القوات الدولية ستدخل مقاطعة كاتانغا يوم ٦ الحالي . وقد اعلن رئيس وزراء المقاطعة تشومبي ان القوات الدولية لن تدخل الا بالقوة ، واذاع قرارا بالتعبئة العامة .

ـ اعلن استقلال جمهورية نيجر في افريقيا الغربية ضمن الاسرة الفرنسية

٤ ـ طردت حكومة الكونغو السفير البلجيكي واوقفت المساعدات الاقتصادية والفنية من بلجيكا .

٥ ـ اعلن ان تدخل الامم المتحدة في كاتانغا قد تاجل ريثما يجتمع مجلس الامن

ـ اقترح همرشولد ان يؤكد مجلس الامن لكاتانغا ان القوة الدولية لا تنوي التحيز في النزاع الداخلي في الكونغو . وقال في تقريره انه يبدو ان دخول القوات الدولية الى كاتانغا لا يمكن ان يتم الا باستخدام القوة وان المقررات المتعلقة بانسحاب القوات البلجيكية وارسال وحدات دولية تنطبق على اراضي الكونغو بكاملها .

ـ اعلن نكروما بان غانا والكونغو سيتوليان مقاتلة القوات البلجيكية في كاتانغا اذا لم تحل الامم المتحدة المشكلة .

٧ ـ استنكر المؤتمر العام لعلماء الازهر والهيئات والجمعيات الاسلامية الذى عقد في القاهرة اعتراف شاه ايران باسرائيل .

٨ ـ عقد مجلس الامن لدرس قضية الكونغو وحذر همرشولد المجلس بان الحرب او السلم بات مرهونا بحل هذه المشكلة . وعرضت سيلان وتونس مشروع قرار يدعو الى انسحاب القوات البلجيكية فورا وضرورة دخول القوات الدولية الى مقاطعة كاتانغا .

ـ اممت كوبا جميع الشركات الامريكية وصادرت اموالها .

ـ عقد مجلس الجامعة العربية جلسة خاصة لبحث قضية اعتراف ايران باسرائيل

٩ ـ اتخذ مجلس الامن قرار يعطي همرشولد سلطة ارسال قوات دولية الى كاتانغا ويدعو بلجيكا الى سحب قواتها منها .

ـ اعلن تشومبي انه لن يعارض دخول قوات دولية الى كاتانغا ببعض شروط .

ـ حذر هيرتر الاتحاد السوفياتي بان اميركا تستطيع ان تتحرك بسرعة وقوة ووحدة حتى

خلال حملات انتخابات الرئاسة . وارسلت اميركا مذكرة الى الاتحاد السوفياتي تقول فيها انها وحليفاتها لن تحجم بتأثير التهديدات السوفياتية عن التسلح بالقذائف المسيرة او عن اتخاذ اية اجراءات دفاعية مشتركة اخرى.

– وقع انقلاب عسكري في مملكة اللاوس بقيادة الكابتن فونغ لي. واعلنت اللجنة الثورية العسكرية سياسةالحياد وطردالخبراء الاجانب .

– وقعت اتفاقية في القاهرة ستزود اميركا الاقليم السوري بالقمح بقيمة ١٧ مليون دولار

١٠ – وصل الى بون ماكميلان واللورد هوم لاجراء محادثات مع اديناور .

– اعلن جوزيف نفاتولا زعيم قبيلة بالوبا نفسه رئيسا لمقاطعة انفصالية جديدة فى الكونغو اطلق عليها اسم « دولة المناجم ».

– طرد الاتحاد السوفياتي الملحق الجوي في السفارة الامريكية بتهمة تصوير اهداف عسكرية .

١١ – اعلنت امريكا انها لا تعترف الا بالحكومة الملكية كحكومة شرعية في لاوس

– ارسل الثوار في لاوس وفدا لمفاوضة الملك .

١٢ – دخل همرشولد كاتانفا مع القوات الدولية .

– انتخب ي.ب. يون دوجين رئيسا لجمهورية كوريا الجنوبية .

– على اثر اجتماع عقده الكابتن فونغلي زعيم الانقلاب في لاوس مع الملك اعلن انه عهد الى الامير سوفانا فوما تشكيل حكومة جديدة تعمل على انهاء الحرب الداخلية مع جماعة « باتيت لو » الشيوعيين

١٣ – اصبحت جمهورية افريقيا الوسطى التي كانت تعرف بافريقيا الاستوائية الفرنسية، دولة مستقلة وهي الدولة الافريقية التاسعة ذات السيادة الكاملة في الاسرة الفرنسية .

– بدات القوات البلجيكية بالجلاء عن كاتانفا واخذت القوات الدولية تحل محلها

– طردت امريكا السكرتير الاول في سفارة الاتحاد السوفياتي في وشنطن لاتهامه بدفع مبلغ من المال بصورة غير شرعية الى مواطن امريكي

١٥ – تم اعلان استقلال جمهورية قبرص.

١٦ – طالب لومومبا بان يحل فريق مراقبة اسيوي يمثل ١٤ دولة مكان همرشولد. وقد اصبحت العلاقات بين حكومة الكونغو وبعثة الامم المتحدة متوترة جدا . واعتقلت الشرطة الكونغولية عددا كبيرا من الاوروبيين وموظفي الامم المتحدة . وفرضت الاحكام العرفية في جميع انحاء البلاد لمدة ستة اشهر .

– قرر مجلس الوزراء التركي برئاسة الجنرال جمال غورسال تقديم استقالته الجماعية الى لجنة الاتحاد الوطني

– اعلن سوكارنو قطع العلاقات الدبلوماسية مع هولندا وطالب باتحاد زعماء اندونيسيا الوطنيين والشيوعيين والمسلمين لجعل اندونيسيا دولة اشتراكية .

– اعلن نهرو ان الوضع العالمي اشد خطرا مما كان عليه في سنوات مضت

– وصل همرشولد من الكونغو الى نيويورك لحضور الجلسة الطارئة التي يعقدها مجلس الامن بشأن نزاعه مع لومومبا .

– ما زالت قوات الكونغو تعترض القوات الدولية .

– اخذت قوات موالية للجنرال فومي نوسافان وزير الدفاع في حكومة اللاوس المخلوعة تزحف من جنوب اللاوس في اتجاه العاصمة فينتيان .

١٨ – احتلت القوات الدولية مطار ليوبولدفيل واعطت القيادة جنودها في المطار سلطة اطلاق النار بعد ان اعتدت القوات الكونغولية على القوات الدولية وبين الجرحى قائد الفصيلة الكندية .

١٩ – اصدرت المحكمة العسكرية العليا في موسكو حكمها على الطيار الامريكي الجاسوس فرنسيس باورز بالسجن ٣ سنوات و٧ سنوات حرمان من الحرية وباورز هوقائد الطائرةالتي اسقطها الروس فوق اراضي الاتحاد السوفياتي في اول مايو الماضي ، وكانت سببا في نسف مؤتمر الاقطاب .

٢٠ – انهار « اتحاد مالي » الذي انشأ قبل سنة بين السنفال والسودان اللذين كانا من مستعمرات فرنسا واعلن السنفال انفصاله واستقلاله الذاتي وطلب الى الامم المتحدة الاعتراف به ، واعلنت حالة الطواريء وسبب النزاع التنافس بين البلدين على رئاسة جمهورية الاتحاد .

– الفت سيلان التمثيل السياسي مع اسرائيل .

– وافق وزراء خارجية الدول الامريكية على قطع العلاقات الدبلوماسية مع الدومنيك وقطع العلاقات الاقتصادية جزئيا معها بوقف المتاجرة بالاسلحة . بعد ان اكد مجلس منظمة الدول الامريكية مسؤولية الدومينيك في خرق حرمة سيادة فنزويلا .

٢٢ – اذاعت حكومة الجزائر الموقتة بيانا طلبت فيه الى الامم المتحدة اجراء استفتاء عام في الجزائر باشرافها ليقرر به الشعب الجزائري مصيره

– افتتح مؤتمر وزراء الخارجية العرب في شتورا بلبنان .

– اذاعت ايران بيانا لوزير خارجيتها وقد ابلغ النص الى وزراء الخارجية العرب وفيه اعادة تأكيد بان موقف ايران من اسرائيل لم يتبدل منذ عام ١٩٥٠.

– اعلنت كثرة مجلس الامن تأييدها لهمرشولد بتصرفه في الكونغو . وقد اعلنت حكومة الكونغو انها تسحب كل مطالبها وشكواها من القوات الدولية .

٢٣ – بعث المغرب مذكرة الى همرشولد يطلب فيها البحث بمسألة موريتانيا في الدورة المقبلة للامم المتحدة . فان فرنسا بمنحها الاستقلال لموريتانيا قد جعلت تسوية المشكلة عن طريق التفاوض مستحيلة .

– وقع في جنيف مندوبون من الكونغو والامم المتحدة اتفاقا تتلقى بموجبه الكونغو خمسة ملايين دولار لتواجه حاجاتها العاجلة.

– اعلن ابورقيبة سياسة عدم الارتباط باية من الكتلتين الدوليتين بعد الموقف السلبي الذي وقفته الدول الغربية من الجزائر .

– بدأ ديغول مساعيه للتوفيق بين السنفال والسودان « الفرنسي سابقا » واجتمع الى الرئيس السنفالي محمد ضيا الذي وصل الى باريس .

– اثار نشر معلومات عن وثائق بوتسدام السرية ضجة في امريكا . اتضح منها ان ترومان ايد ستالين لتاخير استسلام اليابان. وان ايزنهاور سلم الروس ١٣٥ الف جندي الماني . وكان ستالين يعتقد ان هتلر هرب الى اليابان .

٢٤ – عقد وزراء الخارجية العرب جلسة على مستوى مجلس الجامعة واقروا قرارا خاصا بالجزائر بارسال متطوعين بكثرة للجزائر والسعي لدى الدول لتحقيق تقرير المصير .

– اعلنت المانيا الشرقية عن اعتقالات جماعية تناولت افرادا اتهموا بالعمل في الاستخبارات الامريكية .

– توفي في جنيف علي ماهر احد رجال الدولة بمصر سابقا .

– قرر مجلس الامن التوصية بقبول قبرص في عضوية الامم المتحدة و٨ دول افريقية هي : داهومي ، نيجر ، فولتا العليا ، الشاطىء العاجي ، الكونغو (الفرنسي سابقا) تشاد ، غابون ، افريقيا الوسطى .

مطبعة الغريب
بيروت ، شارع هوفلان ، ت ٤٦١٨٥